البحث الثاني عشر

جهود أبي الحسن الندوي

في الفكر الإسلامي المعاصر

الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحليبي (*)

(*) أستاذ الثقافة المساعد بكلية الشريعة والدارسات الإسلامية بالأحساء، السعودية.

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة:

الحمد لله الذي أكرم أهل العلم، وجعلهم خاصّته، ورفع منزلة العلماء، وجعلهم مرجعاً لفهم دينه، والصلاة والسلام، على محمد بن عبد الله معلّم الناس الخير، وإمام العلماء المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله تعالى: قيض في كلّ زمان لديه من العلماء الأفذاذ من يحفظه، وينافح عنه، ويعمل على نشره وتبليغه، وقد ألهم هؤلاء من القدرات العلمية والخلقية ما مكّنهم من مواجهة التيارات الهدامة، والمذاهب المنحرفة، والأهواء الشخصيَّة الفاسدة.

وسماحة الشيخ أبي الحسن عليّ الحسني الندويّ من مواليد محرم عام ١٣٣٣هـ في قرية قريبة من مدينة راي بريلي بالهند-أحد العلماء المفكرين في العصر الحاضر، يمكن القول بأنه مدرسة فكرية فذَّة، كان عطاؤه فيها عطاء مؤسسة كبيرة، نظراً لوفرة جهوده في المجال الثقافي، الذي يتنوع إلى مؤلفات ومقالات ورسائل ومحاضرات وخطب ورحلات ومؤتمرات، ومشاركة في تأسيس الجمعيات الخيرية والمؤسسات التعليمية، ولعل شهرته في الأوساط العلمية، وحضوره الثقافي، وكثرة ما طبع له من كتابات شاهد على ذلك، وجاء فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٣٩١هـ/١٩٨٠م تقديراً واعترافاً على مستوى العالم الإسلامي بمكانته الرائدة في الفكر وخدمة الإسلام.

سلك أبو الحسن الندوي مسلك الحكمة والبصيرة، مراعياً ظروف العصر، ومستفيداً من إمكاناته الحديثة، معتمداً على العلم والموضوعية في كلّ ما يتناوله من قضايا ثقافية مستجدّة، ومسائل فكريّة نافعة، وهذا يعود إلى أن هيكل تفكير الندويّ قد تكوَّن في وسط خاصٍّ ملتزم بأحكام الإسلام، وفي

ضوء دراسة خاصَّة، تقوم على الأدّلة الشرعيَّة، ومراعاة مقاصد الإسلام وكليّاته، والعمل على استجلاب المصالح ودرء المفاسد، الأمر الذي دفعه إلى البحث العملي، والاجتهاد الفكري، والنقد الهادف، مما ساهم في تكوين نظرة دقيقة في تقييم المواقف و الشخصيات، والموازنة بينها، وفي استلهام الدروس والعبر، واستجلاء الواقع، والتحسب للمستقبل.

ويأتي هذا البحث استجابة لدعوة رابطة الأدب الإسلامي إلى الكتابة عن جهود المفكر والأديب ورئيس الرابطة تكريماً له، وكان مما دعت إليه الكتابة باختصار عن (جهود أبي الحسن الندوي في الفكر الإسلامي المعاصر)، وكانت رغبتي الشخصية في أن أتقدم بهذا البحث إلى اللجنة المنظمة لمؤتمر التكريم بإستنبول، ولكنّ ظرف صحي ألم بي أدى إلى تأخر استكماله عن الموعد المقرر لقبول البحوث، إلا أني بفضل الله تعالى تمكنت من استكمال إعداد البحث وفاءً لحقِّ هذا المفكر الرائد، الذي تعد كتبه من مصادر المثقف في العصر الحاضر.

يتناول البحث تمهيداً وأربعة فصول، على النحو التالي:

التمهيد - ويشمل: التعريف بالفكر، وبيان مميزات مؤلفات أبي الحسن الفكرية.

الفصل الأول: جهود أبي الحسن الندوي في بناء الذاتية للفكر الإسلامي.

الفصل الثاني: جهود أبي الحسن الندوي في تأصيل الفكر الإسلامي.

الفصل الثالث: جهود أبي الحسن الندوي في نقد الحضارة الغربية.

الفصل الرابع: جهود أبي الحسن الندوي في بناء الفكر الإصلاحي.

الخاتمـــة.

ومن الإنصاف القول بأن البحث لم يستطع أن يُعرِّف بكلِّ جهود أبي الحسن الندوي في مجال الفكر، ولا ريب أن هناك جوانب فكرية مضيئة لم تعطَ حقها في مثل هذا البحث القصير، يمكن أن تترك للباحثين ومعدي الرسائل الجامعية، وحسبي أني حاولت أن أدون خلاصة قراءتي لمحصلة عمر مديد من البحث العلمي الجاد، ومتابعتي لنظرة واسعة الأفق استلهمت الماضي، وانتفعت بدروس القرآن ونذره في إدراك الحاضر والمستقبل، ولا يزال معين هذه الشخصية ثراً، يمدُّ الفكر الإسلامي بالعطاء الثقافي الصافي، فبارك الله فيها، ونفع بعلمها المسلمين، مع اعتذاري عن فهمي الخاطئ في موضع قد يعرض للقارئ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

في ١٤١٧/٣/٢٦هـ الباحث

obeikandl.com

التمهيد:

يشمل:

١- تعريف الفكر الإسلامي المعاصر:

أولاً- الفكر في اللغة العربية: مادته الفاء، والكاف، والراء، بكسر الفاء وتفتح المصدر، وهو تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر، إذا ردد قلبه معتبراً[١]، أو هو إعمال النظر في الشيء[٢].

ثانياً: في الاصطلاح: من التعريفات المتقدمة التي تحدد معنى الفكر الاصطلاحي:

- تعريف الراغب الأصفهاني (م٥٠٢هـ) بأنه: (فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها)[٣].
- تعريف الغزالي (م٥٠٥هـ) بأنه (إحضار معرفتين في القلب، يستثمر منهما معرفة ثالثة)[٤].
- تعريف الجرجاني (م ٨١٦ هـ) بأنه (ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول)[٥].

ومن تأمل هذه المعاني يتبين له أنها تدل على أن الفكر في العموم يصدق على الجهد العقلي الذي يبذل في الوصول إلى معرفة جديدة[٦].

ثالثاً: تعريف الفكر الإسلامي: إذا أضيفت كلمة فكر إلى الإسلام فإن لها معنى خاصّاً، يقتضي التزام هذا الفكر بمصدري الإسلام: الكتاب والسنة

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٤٤٦.
(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي ٣/١١٥.
(٣) المفردات في غريب القرآن ٣٨٤.
(٤) إحياء علوم الدين ٤/٤١٢.
(٥) التعريفات ١٦٨.
(٦) ثقافة الطفل المسلم مفهومها وأسس بنائها للباحث ٢٦٢.

في وسيلة الاجتهاد الفكري وثمرته بحيث يعتمد عليهما في الاستدلال والاستقراء والقياس، ولا يخالفهما في النتيجة، وهذا الالتزام هو نقطة الافتراق بين الفكر الإسلامي والأفكار الأجنبية الأخرى، ومن تعريفات الفكر الإسلامي، أنه (الجهود العقلية المبذولة في محاولة فهم الإسلام من مصدريه: الكتاب والسنة)[1]، والفكر الإسلامي المعاصر هو الذي يبحث في القضايا الفكريَّة التي تمسّ المسلمين في العصر الحاضر.

٢- بيان سمات مؤلفات أبي الحسن الندوي الفكرية:

أولاً- سهولة الأسلوب والصياغة الأدبية الرفيعة: امتلك أبو الحسن الندوي قلماً سيّالاً، كتب به عدداً من المؤلفات والمقالات، وأسلوباً سهلاً بحيث لا يجد القارئ صعوبة في فهمه، وقدرة في العرض تظهر في حسن اختيار الكلمات الفصيحة والشواهد الشعرية وبراعة الاستدلال والاستنتاج، وفي صياغة تتسم بحسن السبك: وجمال العبارة، وإبداع في الصور البيانية، ومع أن غالب مؤلفات الندويّ فكريّةً، إلا أنها صيغت في هذا القالب الرائع الذي يدلُّ على ملكة أدبية دفّاقة، وقدرة لغويّة ظاهرة؛ مكَّنَتاه من جمال العرض وقوَّة التعبير، أكسبتا موضوعاته الفكرية التي تناولها قلمُه جاذبيةً ووضوحاً.

ثانياً: نظرة الاستقراء للتاريخ: قلَّ أن يخلو كتاب من كتب أبي الحسن الندوي، أو مقال من مقالاته، أو محاضرة من محاضراته من سرد واقعة، أو استنتاج عبرة، أو استشهاد بسيرة، أو منادمة طلل، مما يدل على قراءة متأنية للتاريخ، وسعة اطلاع لمصادره المتنوعة، مما مكنَّه من الاستفادة من دروسه، واستلهام مُثُله، وتوظيف مواعظه في استنهاض الهمم، وبناء المستقبل، وربطه بالماضي، ووهبه نظرةً شاملةً لم تقتصر على تاريخ الإسلام مع عنايته

(١) الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي للدكتور محمد رأفت سعيد ٧.

به، واهتمامه بتاريخ سيرة الرسول ﷺ وأصحابه وخلفائه خاصّة رضي الله عنهم أجمعين؛ بل امتدت لتشمل كذلك التاريخ الأوروبي والشرقي، وهي ثقافة تاريخية تمتزج بها كتابات الندوي، قَلَّ أن يتمتعَ بها غيرهُ من معاصريه، منحته قدرة فاحصةً على الموازنة بين الأمور والمواقف والأحداث المستجدة، وتقييمها، ودراسة المجتمعات وتطوراتها، ومعرفة حقائق الوقائع، وإدراك آثارها.

ويعود اهتمامه بالتاريخ إلى أنه يراه (مرآة الأمم البائدة، وخزانة العبر المبرزة لأسباب النهوض والهبوط في حياتها، فليس ثمة من سقوط أو نهوض يحدث عفواً أو اتفاقاً، وإنما هي سنن وقوانين مرتبطة بتصرفات الأمم وأعمالها، فعلى هذه التصرفات والأعمال تتوقف مصايرها في مسيرة التاريخ) [1].

ثالثاً: سلامة المنهج: تتميز كتابات أبي الحسن الندوي بسلامة المنهج التي تظهر في التزامه بالكتاب والسنة، وعرضه لمضامينهما، وتقيده بقواعد الشريعة ومقاصدها العامة، استمدها من روافد كثيرة؛ في مقدمتها بيئته العلمية التي نشأ فيها، وارتضع منها لبانه الثقافي منذ نعومة أظفاره، فقد كانت بيئته محافظة على العقائد الصحيحة رغم ما انتشر في الهند من أديان ونحل منحرفة؛ ذكر أبو الحسن الندوي عن أسرته أنها (لم تنحرف عن الجادة، ولم تتمكن البدع والأعمال الشركية من التسلل والتسرب إليها، ولم تزل متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص، بعيدة عن الأعمال الشركية، متجنبة للبدع والمحدثات، مصونة من تأثير العقائد الشيعية، وكانت الدعوة إلى التوحيد واتباع السنة المطهرة شعارها الدائم وميزتها البارزة، ومن الأدلة على ذلك أنه لا يوجد لأحد من العلماء والصالحين من هذه الأسرة الذين كانوا من كبار مشايخ عصرهم، وكانوا يعدون من الأولياء والصالحين المعروفين قبر مجصَّص، ولا توجد على قبر أحدهم قبة ولا عمارة...، ولم يُسمع كذلك في

(١) علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ١٢٨.

تاريخ الأسرة الاحتفال بمناسبات الميلاد، أو الاجتماع على القبور، أو العمل بالطقوس والتقاليد، التي راجت في الهند، واتخذها الناس شعاراً على قبور الأولياء والصالحين [١].

ودرج على إتمام زاده العلمي في صباه ثم شبابه ينهل من معين ندوة العلماء التي تعد رافده الثاني في بناء شخصيته الفكرية، يقول عنها الشيخ علي الطنطاوي:

(سلكت طريقاً وسطاً بين الأزهر بعدما شاخ وتخلف شيئاً قليلاً عن الركب... وبين جامعة عليكراه التي أنشأها السر سيد أحمد خان، لتساير الزمان، فلم تجمد الندوة جمود الأزهر القديم ولم تمع ميعان عليكراه، بل أخذت من طرفي الأمور بأحسنها، وكانت تجربة كتب الله لها النجاح) [٢].

وتعد شخصية المفكر والأديب محمد إقبال من أعظم الروافد تأثيراً في تكوين شخصية أبي الحسن الندوي الفكرية والأدبية، لقد أعجب به، وأحبه وتشرب فكره، وتغنى بشعره، واستشهد بأقواله في كتبه وخطبه، فقلَّ أن يخلو شيء منها من ذكره، سجل أبو الحسن تأثره هذا: فقال: (إني أحببته، وشغلت به كشاعر الطموح والحب والإيمان، وكشاعر له عقيدة ودعوة ورسالة، وكأعظم ثائر على الحضارة الغربية المادية، وأعظم ناقد لها، وحاقد عليها، وكداعية إلى المجد الإسلامي، وسيادة المسلم، ومن أكبر المحاربين للوطنية والقومية الضيقتين، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية والجامعة الإسلامية) [٣].

وقد وهبته السنون المليئة بالممارسات العلمية والدعوية والرحلات والتجارب والخبرات رسوخاً في الفكر، ووضوحاً في الرؤية، وسداداً في

(١) في مسيرة الحياة ٤٣.
(٢) تقديم كتاب في مسيرة الحياة لأبي الحسن الندوي ١١.
(٣) روائع إقبال ١١.

الرأي، وصلابة في الحق، كان من ثمرتها النضج العلمي، والمقدرة على تأصيل الفكر الإسلامي، وإبرازه على أنه نسيج وَحْده، مستقلّ عن غيره من الآراء والاتجاهات الفكرية، والعودة به إلى مصادره الصحيحة، وتناول ذلك في ذاتية وشمول وموضوعية.

رابعاً: الغيرة على قضايا المسلمين ومستقبلهم: استولت قضايا المسلمين على اهتمام أبي الحسن الندوي، وتركزت دراساته على واقع المجتمعات الإسلامية ومستقبلها، وتحرَّق على أوضاعها المؤلمة، وقد امتزجت غيرته عليها بأمل يطرد اليأس على رغم ما أصاب الأمة الإسلامية من أدواء مهلكة أفقدتها القيادة العالمية التي كانت تمسك بزمامها قروناً من الزمن، فإن شعوبها (لا تزال تحمل العاطفة الفياضة الجياشة من الإيمان والحنان والتضحية والإيثار والطاعة والانقياد والحب والإخلاص، التي لا توجد في أية أمة مادية على ظهر الأرض، إن جماهير البلاد الإسلامية على رغم جهلها المؤسف، وتأخرها المؤلم - خامات بشرية ممتازة يصنع منها نماذج إنسانية جميلة، وطراز رفيع من البشر، إن أكبر قوتها الإيمان والإخلاص والبساطة والحماس، وهذه القوة لعبت دوراً خطيراً في التاريخ، وصنعت العجائب، وأتت ببطولات وخوارق تدهش لها العقول.. فيجب - بناء على حبّ الواقعية والحقيقة-أن نقدر هذه القوّة الكبرى حقَّ قدرها، ونعتبرها أضخم رصيد، وأمضى سلاح، وأقوى وسيلة للمحافظة على سلامة البلاد، وأداء أي واجب كبير وخطير على مسرح العالم، ولكن هذه القوة الشعبية الإيمانية ونفسها بدأت تتضعضع تحت تأثير التجديد والتغريب، وبدأ في هذه الشعوب سرطان خلقي لا ينفع فيه الدواء والعلاج) [1].

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٢١٧.

لقد نعى الندوي ما يتعرض له العالم الإسلامي من غارة غربية واسعة استطاعت أن تذوِّبَ شخصيتَه، وأن تُغرِّبَ مجتمعاته، وأن تستعبد أبناءه، وقد دفعته إلى صراع صامت مقنَّعٍ، هذا الصراع معركة (بين فكرتين: الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية بأوسع معانيهما وآفاقهما وأبعادهما، هي معركة نستطيع أن نلخصها في قولنا: هل يبقى هذا الشعب وهذه البلاد الإسلامية بكلّ معاني الكلمة تنظر إلى الدِّين الإسلامي على أنه يكفل سعادة البشر في جميع مجالات الحياة.. أم هو دين عقيدة وإيمان فحسب، وقضية شخصيّة لا شأن لها بالمدنيَّة وتخطيط الحياة وسياسة التربية والتعليم، وصياغة الأجيال وفق عقائده وقيمه ومثله، وتشريع القوانين وحقِّ التدخل في الحياة؟. ويبدي الندوي أسفه الشديد على أن غالب الأقطار الإسلامية اختارت فيما يظهر المسلك الثاني، حتى أصبحت نسخة ناقصة من المدنية الغربية، وصورة شاحبة لها، لا تسترعي اهتمام الغربيين، ولا تحرك فيهم مشاعر الإجلال والاحترام) [1].

ويسهم أبو الحسن في بناء الوعي الفكري تجاه الدسائس الغربية، والدعوات الهدامة، والمخططات المغرضة التي تحاك ضد الأمة الإسلامية، مؤكِّداً على وجوب أخذ الحذر منها، ومواجهتها بكلِّ الإمكانات المتوفرة في مقومات شخصية الأمة وجوهر رسالتها ومركزها في العالم، فيقول مخاطباً إخوانه في الجزيرة العربية، (أنتم تعيشون في قطعة قد ركز الأعداء كل جهودهم، وكلَّ ذكائهم، وكل مخططاتهم على إزالتها عن رسالتها، وعن شخصيتها الإسلامية العربية، وعن قيادتها للعالم الإسلامي، هذه مؤامرة من أخطر المؤامرات التي عرفت في التاريخ، إن الشعوب على الرغم مما عندها من نظريات مختلفة، قد تكون متناقضة، تلتقي على نقطة واحدة، وهي القضاء على مكانة الجزيرة العربية، وقطع صلتها عن الإسلام.. إنه ليس

(١) أسبوعان في المغرب الأقصى- ١٤٦-١٥١.

العالم الخارجي والشعوب والحكومات البعيدة عن هذه الجزيرة هي التي تشكل الخطر فحسب...، بل إنكم محاطون بدعوات مناهضة للإسلام، ومعسكرات تقوم على فلسفات تتناقض مع الإسلام، فأنتم لا يسوغ لكم أبداً أن تخلدوا إلى الراحة، وأن تعيشوا عيشة المنعمين المترفين، أقول لكم بصراحة: الترف هو العامل الأكبر لهدم الحكومات، وانقراض المدنيات، وسقوط المجتمعات، وهو الذي ذمه القرآن، فيقول: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ (١)(٢).

(١) سورة الإسراء ١٦.

(٢) نفحات الإيمان بين صنعاء وعمّان ٢٨ .

obeikandl.com

الفصل الأول

جهود أبي الحسن الندوي في بناء الذاتية للفكر الإسلامي

تأثر الفكر الإسلامي بالمتغيرات والظروف التي شهدها العالم الإسلامي في القرنين المنصرمين، وترك الجمود العلمي والوهن النفسي والضعف العسكري والتأخر الصناعي آثاره على شخصيّة الأمة الإسلاميّة وطرائق تفكيرها وسلوك حياتها، ولئن كانت قوة التأثير شديدة في عقول المسلمين ومجتمعاتهم أوّل الأمر حتى ألجات مفكري تلك الحقبة للدفاع عن الإسلام على أنه ليس منافياً للرقي، ولا مانعاً من التقدّم، ولا معارضاً للعقل، وكأنه في قفص الاتهام، وهو ما يلاحظ في مؤلفات محمد عبده وفريد وجدي وأقرانهما [1]؛ إلا أن الفكر الإسلامي استطاع رغم ذلك أن يتجاوز هذه المرحلة بجدارة إلى تأسيس الذاتية الفكرية للإسلام، وتقرير استقلاله عن غيره من الأفكار والفلسفات والنظم الوضعية.

حقيقة الذاتية:

تتضح حقيقة الذاتية للفكر الإسلامي في أن الإسلام نسيج وَحْده، لا يطابقه فكر آخر، ولا يضاهيه؛ بل هو مستقلّ بنفسه، غنيّ عن غيره، ومهما ورد من تشابه بينه وبين فكر آخر فهو جزئي وعارض، ويرجع سرّ تفرده إلى القاعدة الإيمانية التي ينبثق منها، وما تقوم عليه من الجزم والاستيقان، والقدرة على بناء الإنسان المتكامل، وتلبية حاجاته النفسيّة والعقليّة والماديّة.

(١) الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية لمحمد المبارك ٥١.

ولا ريب أن الإسلام له ذاتيته المستقلة في الجانب الفكري وفي بقيّة الجوانب، وله أسلوبه الخاصّ في بناء هذا الجانب وغيره، فهو وحدَه القادرُ على بناء الإنسان الواعي المدرك لوظيفته في الحياة، والإنسان غير مستغن عن توجيهه ورعايته لحظة واحدة إذا أراد الاستواء والكرامة والحرية، ولن يجد شخصيته إلا في المفاهيم الأصيلة التي قدمها القرآن الكريم، وبينتها السُّنَّة المطهَّرة، وستظل المفاهيم البشرية عاجزة عن أن تهديه وإن كانت تستطيع أن تضله، لقد طُرِحَت حديثاً مذاهبُ ونظريات في آفاق المجتمع الإسلامي جرت مع الأهواء والرغبات في صورة علمية فلسفية كانت السبب في ضياع الإنسان المسلم، وتمزقه الروحي ، ومسخ إنسانيته [١]، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [٢].

ويعدّ أبو الحسن الندويّ من المفكرين القلائل الذين حملوا مسؤولية البناء الذاتي للفكر الإسلامي في وقت مبكر، وعملوا على استقلاله في المنهج والغاية، وإبراز معالمه وشخصيته الخاصّة، ومن أبرز جهوده في هذا الشأن مايلي:

١ - **التأكيد على استقلال منهج الإسلام في الفكر:** هذا التأكيد من أجل تجاوز مرحلة الضياع الثقافي، والتخلي عن التبعيّة الفكريّة، وتغيير نظرة الاحتقار لدى الأمة إلى الذات؛ إذ كانت تنظر إلى نفسها على أنها مجموعة بشريّة موزعة في العالم، منتشرة في البلاد، ذات قوميات مختلفة، ولغات متنوعة، وثقافات محليّة، محاطة بظروف وأجواء خاصّة، وإمكانات محدودة تجتمع على أمرين: الانتماء إلى الإسلام، والخضوع للغرب والاعتماد عليه في

(١) مفاهيم العلوم الاجتماعية لأنور الجندي ٢٧٣.
(٢) النحل ١٠٦-١٠٧ .

المعيشة والسياسة [١]، دون ترسيخ لهذا الانتماء على أساس العقيدة الصحيحة، ومعارضة لسيادة الغرب الفكرية.

ذلك كما يرى أبو الحسن الندويّ أن لكلّ كائن حي طبيعة خاصّة، وسمات بارزة وملامح خاصّة، يتكون منها واقع يعبر عنه بالشخصيّة أو الذاتيّة، ويستوي في ذلك الأفراد، والجماعات، والشعوب والأمم، والديانات والفلسفات، والإسلام دين حبّ ذو شخصيّة متميزة لم يصل إلينا عن طريق الحكماء والمفكرين،ولا عن طريق المؤسسين للحكومات والفاتحين، ولا عن طريق الزعماء والقادة السياسيين، وإنما وصل إلينا عن طريق محمد ﷺ، الذي ختم الله به الرسالات، وهدى به من الظلمات [٢]، الذي يقول عنه القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [٣].

ولا ريب أن ديناً بهذه الشخصيّة له منهجه المتفردّ في التفكير، ومصادره الخاصّة، التي يعتمد عليها في النظر إلى الإنسان والحياة والكون، وموازينه في الحكم على الأمور والمواقف والأشخاص، وتقدير القيم، وتحديد المبادئ؛ إنه من العسف والجور وهو بهذه المثابة أن نساويه بغيره من الأفكار والآراء البشرية، أو الفلسفات والمذاهب الوضعيّة، ومن الهزيمة في الفكر أن يتبع المسلمون مناهج الشرق والغرب، وهم متميزون في منهج فكرهم باتباع منهج القرآن الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٤].

إنه بالرغم مما أصاب المسلمين من علَّة وضعف فإنهم الأمَّة الوحيدة على وجه الأرض، التي تعدّ الند الأقوى في عقيدتها وفكرها ومعطيات دينها للأمم الغربية، والتي يعزم عليها دينُها أن تراقب سيرَ العالم، وتحاسب الأممَ على

(١) إلى الإسلام من جديد ٤٥.
(٢) العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة ٢١.
(٣) النجم ٣-٤ .
(٤) فصلت ٤٢.

أخلاقها وأعمالها ونزعاتها، وأن تقودها إلى الفضيلة، هذه هي الأمّة التي يمكن أن تعود فتكون خطراً يهدّد الفكر الغربي الذي بسطته أوروبا في الشرق والغرب، وتحبط مساعيه [١].

٢ - **بيان ضرورة التغلُّب على الحيرة والازدواجية:** عالج الندويّ ظاهرة الحيرة التي تعرّض لها أبناء المسلمين في العصر الحاضر نتيجة الازدواجية في المناهج التعليمية والإعلامية، ومؤثرات المذاهب الفكريّة الوافدة، وما ولدته من ردَّة عقدية وفكرية عميقة في النفس وسلوك المجتمعات، كان من مظاهرها التشتت والفرقة والتشكك والاضطراب والهزيمة والإخفاق، والخيبة إثر الخيبة في الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ﴾ [٢]، يصدق على المتحيرين منهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [٣]، وكان من آثارها، ضعف المقاومة في المعركة الفكرية، وزوال الغيرة على الدِّين والمحارم، وفقدان الكرامة والشرف، وحبِّ الدَّعَة والإخلاد إلى الأرض، ولاشكَّ أن البلبلة الفكريَّة كانت وراء انهيار كثير من المجتمعات القديمة، واندثار المدنيات الزاهرة، وهو الوضع الذي ابتلي به المسلمون في العصر الحاضر [٤].

إن من أعظم الأسباب التي أدَّت إلى الحيرة التناقضُ في التوجيه والإعلام والتربية، تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه، وبين ما يلقنونه تقليناً وبين ما يطلبه منهم علماء الدِّين، هذا التناقض العجيب الذي سلِّط عليهم، ومنوا به هو السر في هذه الحيرة المُرْدِية؛ فإن الشباب يتلقون

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٢٨٣.

(٢) سورة فصلت ١٦.

(٣) الكهف ١٠٣-١٠٥.

(٤) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ١٢٤-١٢٥.

عقيدتهم في بيئتهم فيجدون من ذوي الاختصاص العلمي ماينقضها، ويقتلع كلّ ما غرسته في قلوبهم وعقولهم من سلامة الفكر وصحة التوجُّه؛ بل ويسمعون من وسائل الإعلام ويرون ويقرؤون ما يشكِّك في التاريخ الإسلامي ومصادر الشريعة ومراجع اللغة وصلاحيَّة هذه الأمة وخلود الرسالة التي تحملها، فيتلقون هذا المزيج العجيب من أفكار ومبادئ وإغراءات ونظريات مما يؤدي إلى نفي الإسلام من قلوبهم، أو يقلِّلُ من قيمته في نفوسهم على الأقل، فيقعون في تناقض عجيب، وفي صراع فكري عنيف [١].

ويرى الندوي أنه يمكن المساهمةُ في علاج هذه الحيرة على رغم قوة تأثيرها في المسلمين عن طريق توحيد نظام التعليم، والتخلُّص من ازدواجيته التي أوجدت الحيرة ونمتها، وأول خطوة يخطوها العالم الإسلامي في هذا الاتجاه الصحيح هو تنسيق غايات التعليم ومواده، وإحكام ربطه بعقيدة الأمة الصحيحة، على أساس أن التعليمَ وحدةٌ واحدة لا تقبل التجزئة بين القديم والحديث، أو التجريد عن الدِّين، إنما ينقسم بين وسائل وغايات تكون فيه الوسائل خاضعة للغاية الأساسية، ولا ريب أن هذا العلاج يحتاج إلى جهود مضنية ومخلصة، ومشاريع كبيرة مدعومة معنوياً ومادياً من قبل الحكومات والهيئات العلمية والتربوية والإعلامية، تعمل متعاونة على إزالة هذا التناقض، وإنشاء بيئة ملائمة تساعد على نمو الشخصية الإسلامية، وإكمالها، ووصولها إلى الغاية المطلوبة [٢].

٣ - تقوية الشخصية الإسلامية وتذكير الأمة برسالتها: فقدت الأمة الإسلامية في القرن الأخير مكانتها الطبيعية التي ميزها الله بها، وهي مكانة القيادة العالمية التي تحملت أمانتها، واضطلعت بمهامها من مسؤولية الدعوة

(١) التربية الإسلامية الحرة ١٠١-١٠٢.

(٢) من نهر كابل إلى نهر اليرموك ٢٣٢-٢٣٦.

إلى الإسلام، ومدافعة العقائد الباطلة والنحل الفاسدة والتصورات المنحرفة؛ لتكون كلمةُ الله هي العليا، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١)، وقد استحقت أن تنال هذه المكانة الرفيعة؛ لما اختصّت به من سمة الخير في عقيدتها وتشريعات دينها ومناهجها على بقية الأمم، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٢).

ويشخص أبو الحسن الندويّ حال الأمّة اليوم بعد أن فقدت هذه المكانة، بأن مجتمعاتها تعيش على هامش الحياة، وفي مؤخرة الركب، يدين غالبها لفلسفات الغرب ومناهجه، على درجة أن الغرب يأمرها فتطيع، ويقول لها فتسمع، ويقودها فتنقاد، ويعلِّمها فتتعلم؛ لأنها تعيش على فتات مائدته، إنها شعوب لا شخصية لها؛ لأنها تخلت عن رسالتها، والأمم والحضارات لا تعيش إلا بالشخصيات والرسالات، فيجب عليها إذا أرادت النهوض واستعادة مكانتها أن تتعرف على شخصيتها، وتدرك رسالتها، فإذا هي فعلت ذلك يتعرف أن شخصيتها شخصية القوة والثقة، والأصالة والاستقلال، والجدِّ والابتكار، وستدرك أن رسالتها رسالة الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والإخلاص والرحمة والعدل والمساواة، إنها رسالة الإسلام التي أكرم الله بها هذه الأمة، وأعزها بها بعد ذلٍّ، فأين الشعوب الإسلامية من تجديد إيمانهم بها، والحماسة لهداية العالم إليها حتى يعيد التاريخ نفسه، ويرتد الدهر على أعقابه (٣).

ويؤكد أبو الحسن أنه لن ينهض العالم الإسلامي إلا برسالته التي وكلها إليه مؤسسها ﷺ، والإيمان بها، والاستماتة في سبيلها، وهي رسالة قوية

(١) سورة البقرة ١٩٣.
(٢) سورة آل عمران ١١٠.
(٣) من نهر كابل إلى نهر اليرموك ٦٦.

واضحة مشرقة، لم يعرف العالم رسالة أعدل منها، ولا أفضل، ولا أيمن للبشرية منها، وهي نفس الرسالة التي حملها المسلمون في فتحهم الأول، والتي لخَّصها ربعي بن عامر في مجلس يزدجرد بقوله «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» [١] فما أحوج العالم اليوم إلى هذه الرسالة بعد أن استدار الزمان كهيئته يوم خرج المسلمون من جزيرتهم لإنقاذ العالم من براثن الوثنية والجاهلية الأولى، لتنقذ الناس من عبادة الأهواء، ولتوسع لهم من ضيق المادية، وتحررهم من جور المذاهب الفكرية المنحرفة، أما وقد ظهر فضل هذه الرسالة بعد أن افتضحت الجاهلية الجديدة، وبدت سوأتها للناس، واشتد تذمرهم منها، فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإسلام؛ لو نهض العالم الإسلامي بمسؤوليته، فاحتضن هذه الرسالة بإخلاص وعزم، ودان بها كالرسالة الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ العالم من الانهيار والانحلال[٢].

فليعد المسلمون إلى دينهم الذي كتب الله لهم به وحدَه العزة والمنعة والسؤدد، وقعدوا به في الصفّ الأول بين الأمم، فإن مما شهد به التاريخُ الإنساني الطويل وعلمُ النفس والأخلاق أن الغايات والتعاليم الفاضلة والنماذج العملية الرفيعة لا تقوم، وإذا قامت لا تدوم- إلا إذا كانت وراءها أمة من الناس تحمل دعوتها، وترفع رايتها، وتجتهد في سبيلها، وتمثلها عملياً [٣]، إن المسلمين إذا رغبوا في العودة فسيجدون الإيمان هو الإيمان، لا يزال يحمل تلك القوة التي تقهر القوّة الماديّة التي آمن بها المقلِّدون الضعفاء، لكن العالم الإسلامي أفلس من القوَّة الإيمانية، واعتمد على ما يشترك فيه المسلم

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣٩/٧.
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٢٨٥-٢٨٨.
(٣) الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية ١٠٦.

والكافر؛ وقد يتفوق فيه الكافر على المسلم، وركن إلى الحياة المهلهلة الرقيقة الموبوءة، ومال إلى الحياة التي يشترك فيها غيرنا؛ بل يمتازون عنا بأن عندهم الصرامة والجد والعزم وقوة الإرادة في سبيل المبدأ والهدف، فبماذا إذن يمكن أن يتفوق العالم الإسلامي على غيره وهو بهذا القدر من الإفلاس، إنّ السبيل الوحيد للتفوق والنصر هو في إعادة بناء شخصيّة الأمّة الإسلاميّة من جديد على أساس الإيمان والتجرد من كلّ الشعارات الدخيلة[١]، وفي حمل المسلمين لمشعل الإسلام لينيروا به حياتهم ومن حولهم، ويثبتوا به وجودهم ومكانتهم، وفي الأخذ بالأسباب العلمية والمادية بحيث يستغنون عن غيرهم في كلّ مرفق من مرافق الحياة بما يوافق روح رسالتهم، ويؤدي إلى إعلائها ومضيِّها.

٤ - **دعوة الأمة إلى صياغة الحضارة من جديد:** لقد أحدث الإسلام مفهوماً جديداً للحضارة يشمل المعنويات من عقيدة وتشريعات وأخلاق، ويشمل الماديات من طبيعيات ومحسوبات ومنافع عينية - فلم يعد مقصوراً على المظاهر الحسيّة وهو يعني هذا المعنى الواسع، إن الحضارة كما عرفها الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري: (تحقيق غرض الوجود البشري في إعمار الأرض وفق نواميس الله بأسمى شكل تتجلى فيه إنسانية الخليفة)[٢] في الأرض، لذا يقرر أبو الحسن الندوي أنه من الطبيعي في الدِّين، الذي شملت تعاليمه الدنيا بشُعبَها ومجالاتها، والذي سبك الحياة البشرية كلها عن طريق العقيدة التي تدعو إليها في قالب خاصٍّ - أن لا يعيش بغير حضارة خاصَّة به، وجوٌّ ملائم له، مساعد له على تحقيق أهدافه ومُثُله، وقيمه، إنه دين لا ينسجم مع الحضارات الأخرى التي نشأت واختمرت تحت ضغط عوامل

(١) لنعد إلى الإسلام ٨-١٠.

(٢) الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة ١٢.

تاريخية خاصّة، وفي بيئات تختلف عن البيئة الإسلامية في عقائدها ومناهج حياتها وغاياتها[١].

إن الإسلام وحدَه هو الذي منح الإنسانيّة التي تخبَّطت في ظلمات الأديان المنحرفة والملل الفاسدة والمذاهب المضلِّلة دهوراً من الزمن - العقيدة الصافية المنسجمة مع الفطرة، والمتلائمة مع العقل، فهي عقيدة معجزة، ومتدفقة بالقوة والحياة، حافزة للهمم، ومخلِّصة للنفس من الخوف والوجل، مرشدة للعقل إلى تفسير كامل للحياة، وموجهة للفكر والعمل في أن ينطلقا من حكمة وبصيرة، إنها عقيدة أكرمت الإنسان بالخلافة في الأرض بعد أن حُرِمَ نقاءها زمناً طويلاً، لم ينل، ولن تنال الإنسانيّة مثلها إلى يوم القيامة [٢].

لقد كان ظهور الحضارة الإسلاميّة بروحها ومظاهرها ونظامها في تقييم أبي الحسن - فصلاً جديداً في تاريخ الأديان والمجتمعات، واتجهت به الدنيا اتجاهاً جديداً في طرائقها وأحوالها، وتأثرت به طباع الناس وعقولهم من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، كما تتأثر طبيعة الإنسان والنبات في فصل الربيع، وبدأت مبادئ الإسلام وتعاليمه تتسرب إلى أعماق النفوس، وتتغلغل في الأحشاء، وتغيرت قيمة الأشياء في عيون الناس، إنه يمكن لمن يطالع تاريخ أوربا الدينّي أن يقف على التأثير العقلي للإسلام في نزعات المصلحين والثائرين على التسلط الكنسي، والتي تعدّ دعوة مارتن لوثر من أبرز مظاهرها، يقول روبرت بريفولت: ما من ناحية من نواحي تقدم أوروبا إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير، وآثار حاسمة، ولها تأثير كبير [٣].

---

(١) العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة ١٧١.

(٢) الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية ١٨-٢٠.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٣٥-١٤١.

إن الإسلام حمل مشعل الحضارة بعد أن وقعت البشرية فريسة للسفسطائية في عهد المدنية العقلية والفلسفية ذات المقاييس الوهمية، التي دفعت مجتمعاتها اليونانية والرومانية إلى الانحلال الخلقي والاختلال الاجتماعي، أو فريسة الهندوكية في شبه القارة الهندية، التي مَزَّقَت المجتمعَ إلى طبقات متفاوتة ومتناحرة، أو فريسة المادية الحديثة التي حرمت الإنسان من الإيمان والقيم بعد أن أعلت من شأن المنفعة والأشياء المحسوسة؛ فكان مرد ذلك تفكك الأسرة، وانتشار القلق النفسي والأمراض الخلقيّة، وغياب المُثُلِ والقيم في الحياة الاجتماعية، وظهور الأثَرَة والتطاحن على المادة في دروب الحياة، ولا ريب أن ذلك ينذر الأجيال والمجتمعات التي هيمنت عليها هذه المادية بالخطر المحدق، ولا مغيث لها إلا تعاليم النبوَّة الأخيرة المحفوظة التي لم تترك زمام الحكم في التصورات والأخلاق والقيم والنظم إلى الظنون أو العقل والتجربة؛ بل إلى حكم خالق الإنسان، العالم بحاجاته، الذي ﴿.. يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١)، إنه حقيق على المسلمين من أجل إنقاذ البشرية من أوحال التيارات الوضعيّة المعاصرة أن يجاهدوا في سبيل قيام الحضارة الإسلامية جهاداً كبيراً، وأن يعكسوا هذه التيارات، ويوجهوا مجاري الأمور على أن تنحو نحو الإسلام، تلك مسؤولية تقع على عاتق الأمة الإسلامية بعد أن نثر الذكاء الإنساني كنانته، وأفرغت التجربة البشرية جعبتها، وألقت بكل سهامها، فما كانت إلا سهاماً طائشة ومسمومة، ولم يبق للإنسانية أمل في النجاة إلا الرسالة السماوية الأخيرة وحضارتها المثلى (٢).

لكن ثمَّة حقيقة علمية -ينبه إليها الندويّ- لا بُدّ من مراعاتها، وهي أن الأمة الإسلامية لا تستطيع أن تقوم بدور التأثير في الحضارة الإنسانية

(١) سورة الملك ١٤.

(٢) بين الدين والمدنية ١٢٠-١٢٣

المتعطشة إلى رسالة الإسلام إذا كانت متطفلة على مائدة الحضارات الأجنبية، تغرف من بحرها، وتغوص في موجتها إلى الآذان ،إنها لا تستطيع أن تسترعي انتباهها فضلاً على أن تحمل الشعوب الأخرى على تقليدها إلا إذا كانت مؤمنة، عميقة الإيمان بأن حضارتها مستقلّة، ذات شخصية خاصّة، ربّانية سماويّة، صالحة لكلِّ زمان ومكان، قائمة على أسس متينة مستفادة من الكتاب والسنة، منبثقة من هدى الله وتعاليم النبوة[1].

(١) الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية ١٢٢.

obeikandl.com

الفصل الثاني

جهود أبي الحسن الندويّ في تأصيل الفكر الإسلامي

بذل أبو الحسن الندويّ جهوداً متواصلة في تأصيل قضايا الفكر الإسلاميّ بحيث تكون متوافقة مع القرآنِ الكريم والسُّنَّة النبويّة المطهرة، وإزالة كلّ ما يكدرها من ران الفكر الآخر، ويشوه بَهاء صورتها الحقيقيّة، ولا سيما بعد أن تعرضت الأمة الإسلاميّة لهجمات فكريّة معادية، أحدثت نوعاً من اللبس، وعملت على فرض مفاهيم جديدة، وساعدت على غياب الفكر الصحيح، فكان لزاماً على حملة العلم الشرعي أن يقوموا بواجبهم في التصدي للفكر الوافد الغريب، والمحافظة على ما توصل إليه اجتهاد العقل المسلم نتيجة تدبر القرآن والسنة، وتأمُّل آيات الله الشرعية والكونية بما يعين الإنسان على القيام بوظيفة الاستخلاف في الأرض، واستلهامِ التصور الصحيح للحياة ورسالته فيها.

حقيقة التأصيل: يرى الدكتور محمد رأفت سعيد أن التأصيل هو: العمل على موافقة الفكر لما جاء في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وبمعنى آخر: محاولة أن تكون نتائج الجهد العقلي في فهم ما جاء به الإسلام منسجمة مع روحه وقواعده. وبيَّنَ أن الموافقة تكون في الموضوع الذي يظهر في حصيلة الفكر وتناسقها مع معطيات الكتاب والسّنّة، وفي المنهج الذي يتّضح في اتّباع أسلوب القرآن في شموليته وموضوعيّة مضامينه، وفي الغاية التي تنشأ عن الآثار التي يمكن أن ترتب على هذا الفكر من الناحية النظرية والعملية [1].

(١) الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي ٨.

ويعد أبو الحسن الندوي من رواد الفكر الإسلاميّ المعاصر الذين أدركوا أهمية هذا التأصيل، وعملوا على رد القضايا الفكريّة إلى الكتاب والسنة، والاستناد إليهما في بلورة تصوّر صحيح، أو معالجة مسألة جديدة، أو إزالة لبس أو خلط بفكر وافد عن قضيّة شرعيّة، ولعلَّ من أبرز الموضوعات التي طرقها بالتأصيل: تفسير أركان الإسلام الأربعة، واختتام النبوة وانقطاعها بعد محمد ﷺ، والتزكية للنفس، ومسألة انتماء التعليم، وحدود التقليد، وطبيعة الحضارة الإسلامية، وسأقتصر على بعضها:

١ - **تفسير أركان الإسلام الأربعة:** أشار الندوي إلى أنه حَفَّزَهُ إلى هذا التفسير، ما كان يشعر به من مدة طويلة من اضطراب الآراء والكتابات في تفسير هذه الأركان العملية الجليلة: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ومقاصدها وغاياتها وفوائدها ومصالحها في هذا العصر، وإخضاع معانيها في جرأة كبيرة وتوسع وسخاء للفلسفات العصرية والمذاهب الاقتصادية والسياسية، ومصطلحاتها وتعبيراتها المحدودة، حتى كادت هذه الأركان في عقول مَن آمن بهذا التفسير، وخضع لهذا العرض- تفقد حقيقتها وقوتها، وتضيع مقاصدها التي شرعت لأجلها، وكاد معنى الإيمان والاحتساب يضيع من بين هذه التعبيرات الماديّة والتفسيرات العصريّة، وكاد التفكير الماديّ يطغى على روح العبادة والإخلاص، فكان ذلك خطراً كبيراً على الأمة وطليعة تحريف كبير في فهم المعاني الدينية والمقاصد الشرعية[1].

وحقيقة فإن الندويّ استطاع في كتابه: (الأركان الأربعة: الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) أن يستوفي دراسة هذه الأركان في أسلوب علميّ جديد، مصون عن مناهج الفلسفات والآراء المنحرفة، معتمداً فيه على الكتاب والسنّة في

(١) في مسيرة الحياة ٢١٠.

بيان تفصيلات هذه الأركان وروحها ومقاصدها، وآدابها، مردفاً ذلك بما جاء في كتب أئمة المسلمين من الفقهاء والمفسرين والمحدّثين، ومتبعاً لها بكشف عن بعض مطاويها وصلتها بالحياة، وفضها لكثير من المعضلات، فقد توارثت الأمة فهم معاني العبادات وحقيقتها ومقاصدها كما توارثت أوضاعها وأشكالها، وأحكامها وآدابها، وتوارثت العمل بها من غير انقطاع أوجهالة حتى وصل هذا الدين إلى الأجيال الحاضرة متواتراً متصلاً في الأحكام والمعاني والمقاصد والهيئات؛ فليس لأحد في هذا العصر أن يبتكر لركن من هذه الأركان مفهوماً لم تعرفه هذه الأمة من مصادر دينها الصحيحة، أو يلبسه لباساً مستوردا من الخارج، أو مستعاراً من أجنبي أو مشابهاً لعبادة في ديانة أخرى[١].

٢ - **تأكيد اختتام النبوة وانقطاعها بمحمدﷺ**: قد يعدّ البحث في مثل هذه المسألة من الترف العلمي؛ لأنها من المسلمات والبدهيات في عقيدة المسلمين التي لا تحتاج إلى طول نقاش؛ لكن مستجدات الزمن قد تفرض على العالم تجديد العرض، وزيادة الإقناع، وهو ما حدث فعلاً لأبي الحسن الندوي في مواجهة نحلة القاديانية التي ظهرت في شبه القارة الهنديّة، منتسبة زوراً إلى الإسلام، وحدت به إلى استشعار مسؤوليته في هذا المجال العلمي بعد أن دخلت هذه القضيّة في الأخير المرحلة الحاسمة، وأصبحت بحاجة إلى أن تنتهي فكرياً بعد أن انتهت حكومياً في باكستان التي أعلنت بأن القاديانية فرقة كافرة، لا صلة لها بالإسلام[٢].

نشأت هذه النحلة الفاسدة التي تأثر بها بعض جهال المسلمين-في أحضان الاستعمار البريطانيّ الذي مدَّها بكلِّ الإمكانات الماديَّة والمعنويّة؛ لتعملَ لحسابه في العالم الإسلامي، ولا سيّما في مستعمرة الهند، من أجل

(١) الأركان الأربعة ٤.
(٢) النبي الخاتم ٢.

تشتيت قوى الإسلام، وقد ظهرت حاملةً اسم الإسلام، وهي تبطن هدم أصوله ومبادئه، وتولى كبرها غلام أحمد القادياني من أبناء قرية قاديان إحدى قرى إقليم البنجاب، الذي شبَّ مدعياً أنه نبيٌّ مجدد، وأنه يلهم أسرار الملكوت، فاستغله الاستعمار البريطاني، الذي توَّجه بالنبوة، وأغدق عليه وعلى أتباعه المال والتسهيلات في مقابل ولائه المطلق له، فقد بلغ السوء بغلام أحمد أن وصف الاستعمار بأنه ظلُّ الله في الأرض، وعبر عن مناصرته له بقوله في كتابه آرية دهرم ٧٩-٨٠: نحن نتحمل كل البلايا لأجل حكومتنا المحسنة، وسنتحمل في المستقبل؛ لأنه واجب علينا أن نشكرها لإحسانها ومِنَّتها علينا، ولاشك نحن فداء بأرواحنا وأموالنا للحكومة الإنجليزية، ودوماً ندعو لعلوها ومجدها سراً وعلانية [1].

لقد سعت القاديانيّة التي وجدت التمكين في التلبيس على الناس دينهم بأباطيلها، ومسخ عقائدهم بترهاتها، في جرأة واستكبار، محقِّقة بذلك هدفَ الاستعمار إلى إضعاف جانب المسلمين في الهند خصوصاً، وفي العالم الإسلامي عموماً، وشقّ صفّ المسلمين، وإماتة الآمال في وحدتهم، وتجهيلهم بأمور دينهم،وتشكيكهم فيه بإثارة الشبهات والدعايات الكاذبة.

ولعل مجمع فساد هذه النحلة - كما يراه أبو الحسن الندويّ- ينحصر في خروجها على عقيدة نبوَّة محمد ﷺ، وانقطاعه به، واختتام الرسالات برسالته، هذه العقيدة التي حرست دين الإسلام من غائلة المبتدعين، وفتنة المتنبئين، وحفظته من الفوضى الفكرية التي لم تسلم منها الأديان السابقة، ومنحت متّبعيها وحدةً في المعتقد والمسلك والاتباع، لقد كان خطر بدعة القاديانية عظيماً، لم يشهد له التاريخ الإسلاميّ مثيلاً على رغم ما مرّ به من محن ومؤامرات، نبّه إليه الدكتور محمد إقبال، قائلاً: إن القاديانيّةَ محاولةٌ

(١) القاديانية لإحسان إلهي ظهير ١٩-٢٦.

منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوّة منافسة لنبوة محمد ﷺ. وفعلاً فإن المتنبئ الكذاب غلام أحمد فتح بابَ النبوّة على مصراعيه، مدعياً أن اتباعَ النبي ﷺ ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم، محدثاً بذلك اضطراباً يؤول إلى تفريق المسلمين، وتمزيق وحدتهم، وزارعاً وحشة في قلوب المؤمنين، ومكراً في قلوب الملحدين[١].

ولا ريب أن عقيدة استمرار النبوة ونزول الوحي والمكالمات والمخاطبات الإلهيّة التي أسس عليها هذا المفتري دعوى نبوتَّه لها تأثيرُ في العقول والنفوس، فإنها تضعف ثقةَ بعض ضعاف الإيمان في صلاحيّة دينهم وشريعتهم، وخلود رسالتهم، واستغنائها عن نبوة جديدة، هذا عدا أن اعتقاد إمكان ذلك يجعل الأمةَ فريسةً للأدعياء والدجالين؛ لذا كان من أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، ومن خصائصها سَدُّ هذا الباب إلى الأبد، والإعلام الصريح بأن النبوةّ قد خُتمَت بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢]، وأن الدِّين أكمل للمسلمين قبل أن يلحقَ الرسولُ ﷺ بالرفيق الأعلى[٣]، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[٤].

٣ - **تجلية معنى تزكية النفس:** أفرد أبو الحسن كتابه: ربّانية لا رهبانيّة لمناقشة موضوع التبست فيه الحقيقة، وأشكلت على كثير من الناس؛ حتى بدوا مؤيدين أو خصوماً، مبيّناً في كتابه هذا السبب، ومميزاً بين الحقِّ والباطل، ومعتمداً على الإنصاف في الحكم على الآراء والأفعال بالاعتراف بالجميل، والتماس العذر لمن أخطأ مجتهداً، وغضَّ البصرَ عن زلَّتِه التي لا

(١) القادياني والقاديانية ١٢٩-١٣٦.
(٢) الأحزاب ٤٠.
(٣) النبي الخاتم ٧٢-٧٣.
(٤) المائدة ٣.

يخلو عنها بشرٌ، ولا يبرأ عنها مجتهدٌ، فكلٌّ من يجتهد يخطئ ويصيب، وكلٌّ من يجري يكبو ويعثر، وكلٌّ يؤخذُ من قوله ويردُّ إلا النبي المعصوم ﷺ[١].

ذلك الموضوع هو تزكية النفس أو ما يُعرف بفقه الباطن الذي يدعو إلى تهذيب النفوس، وتحليتها بالفضائل الشرعية، وتخليتها عن الرذائل النفسيّة والخلقيّة، ويدعو إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان، والتخلُّق بالأخلاق النبوية، واتباع الرسول ﷺ في صفاته الباطنيّة، ويعود اللبس فيه إلى مصطلح التصوف الذي وضع له، وهو كما رجَّح شيخُ الإسلام ابن تيمية مصطلحٌ حادثٌ[٢].

وما ارتبط به من انحراف عقدي نشأ عن اتخاذه وسيلةً لتحريف الدِّين، وإضلال المسلمين، وإفساد المجتمع، ونشر الإباحيَّة، إلى أن بلغ حدّاً من الإلحاد، تمثل في عقيدة الحلول والاتحاد، مما نفر منه أهلُ الغيرة على الدِّين، ومن لم يدركوا غايتَهُ دون ما التبس به من باطل، ولكنَّ الله قَيَّضَ للمسلمين مَن تحرَّرَ من ربقة القيود والمصطلحات ممن ينفون عن هذا الدِّين: (تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[٣]، ويدعون إلى التزكية الخالصة من شوائب العجمة والفلسفة، وإلى الإحسان وفقّه الباطن من غير تحريف وانتحال وتأويل، وينفخون في الأمة روحاً من الفضيلة والأخلاق الحميدة، ويجددون صلَة القلوب بالله، والعلماء الربانية، والعامَّة بالخلالِ الكريمةِ[٤].

على أن أبا الحسن الندويّ في تجليته لهذا المفهوم، وإزالته لهذا اللبس لا يبرئ المتصوفة من الخطأ؛ لكن يحمد لهم ما كان صواباً وفق منهج أهل السنة

---

(١) ربانية لا رهبانية ٨.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياءالشيطان ٤٢ .

(٣) جزء من حديث رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٠٩/١٠، كتاب الشهادات، باب الرجل من أهل الفتيا يسأل عن الرجل من أهل الحديث.

(٤) ربانية لا رهبانية ١٥-١٦.

والجماعة الذي صرَّح به شيخ الإسلام ابن تيمية، قائلاً: (والصواب أن يحمد من حال كلّ قوم ما حمده الله ورسوله كما جاء به الكتاب والسنة، ويذّم من حال كلٍّ قوم ما ذمَّه الله ورسوله كما جاء به الكتاب والسنة) [١]، ووضح أن هذا المنهج يضاده منهج أهل البدع الذين لا يعذرون من أخطأ مجتهداً، فيذمونه متغافلين عن حسناته ومحامده، فقال: (ومن جعل كلَّ مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور مذموماً معيباً ممقوتاً فهو مخطئ ضالٌّ مبتدع) [٢].

ويلحّ الندويّ على العناية بتزكية النفس دون اتباع لمنهج خاصٍّ، وهو ما يعرف عند المتصوفة بالطريقة، فإنه لا حاجة على ذلك، فإن في كلمات القرآن والسنة ومصطلحاتها غنَى عنه، ولكن لا بُدَّ أن نملأ هذا الفراغَ الواقعَ في حياتنا ومجتمعنا، ونسدَّ هذا الجانبَ بتربية النفوس، والدعوة إلى إصلاح الباطن، والعناية بالفرد، وأن نتغلب على هذه النفرة بتجلية المفهوم الصحيح، وتمييزه عما خالطه من فساد [٣]، فإنه أحدُ الأمور الأربعة التي بُعثَ الرسولُ ﷺ لتحقيقها، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٤].

٤ - **إبراز مسألة انتماء التعليم:** شغلت هذه المسألةُ بال أبي الحسن الندوي، واستأثرت على اهتمامه؛ لأنها من أهم عناصر الحلِّ في معالجة وضع الأمة الراهن ومشكلاته المعقدة، ومن أهمِّ المجالات الحيوية تأثيراً في حياة المسلمين، ورَسْمِ مستقبلهم، ومواصلة بناء حضارتهم.

ولأنها مسألة مستقلة قائمة بذاتها، مرتبطة بشخصيَّة الأمة ذات الطبيعة الخاصَّة، فهي أمة تختصّ بأنها ذات مبدأ وعقيدة ورسالة ودعوة، مما يوجب

---

(١) الاستقامة ١/٢٢١.

(٢) مجموع الفتاوى جمع عبد الرحمن بن قاسم ١١/١٥.

(٣) ربانية لا رهبانية ١٩.

(٤) سورة الجمعة ٢ .

أن يكون تعليمها خاضعاً لهذا المبدأ ومنبثقاً من هذا المعتقد، وحاملاً لهذه الرسالة، وخادماً لهذه الدعوة، ذلك أن التعليم أداةٌ لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذه الخصائص، ومهمتُهُ معقدةٌ، ليست من السهولة بالمكان الذي قد يتصورّه بعض رجال التعليم في البلاد الإسلاميّة، إنه ليس مجرد تعليم العلوم والفنون، ولغات وطنية وأجنبية، وآداب مختلفة، بل هو إنشاء جيل جديد إنشاء فكريّاً وخُلُقيّاً وعقديّاً، ولا شك أن هذا يتطلب منهاجاً دراسياً خاصّاً، فإنّ كلَّ تعليمٍ لا يرعى ذلك هو تعليمٌ قاصر وناقص، يرزأ الأمة في طبيعتها وشخصيتها [١].

ويشير أبو الحسن الندوي إلى أنه نُفِّذت في العالم الإسلامي خططٌ تعليمية غير ملائمة لوضع مجتمعاته القائمة على أساس العقيدة والرسالة المحمّدية؛ فلم تتمكن من ملء الفراغ الهائل الواقع فيه، ومن تلك الخطط خطة سيد أحمد خان في الهند، فإنها اتسمت بسمتين، تقاصرت بسببهما عن تحقيق التعليم المنشود.

الأولى: أنها لم تعمل على إخضاع النظام التعليمي لطبيعة المجتمع الإسلاميّ الهنديّ وحاجاته وأوضاعه، ولم تسعَ إلى سبكه سبكاً جديداً متلائماً مع معتقدات هذا المجتمع ومبادئه، ولم تفصله عن الحضارة الغربية وروحها المادية التي لا لزوم لها في بلد إسلاميّ؛ بل إنها اعتمدت نظام التعليم في الغرب بتفاصيله وخصائصه وروحه وطبيعته.

الأخرى: اقتصرت على تعليم اللغة والآداب فقط، ولم تعنَ بتعليم العلوم الطبيعية والتطبيقية العناية التي تستحقها، مع أنها ثمرة العلم المادي، وسرّ

(١) التربية الإسلامية الحرة ٧.

قوة الأمم الغربية وسيادتها، وهي التي يجب أن تستفاد من الغرب، ويُحرَصُ على البراعة فيها، وتحقيق سبق فيها [١].

كان نتيجة تنفيذ نظم التعليم الغربي في غالب مجتمعات المسلمين أن وقع غالبُ العالم الإسلامي فريسةَ التبعيَّة للغرب في طرائق التفكير ومناهج الحياة وأنماط العادات والتقاليد، وفقدان الهوية الثقافية، وأن أدت إلى مسخ شخصيّة الأمَّة الإسلامية، وذوبانها في محلول الفلسفة الماديّة الغربيّة، الذي صاغها (صياغة ماديّة بحتة، تنكر أو تتجاهل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. ثم وقوف المسلمين وفي مقدمتهم رجال التربية موقف المستسلم لتلك النظم التعليمية غير الدينيّة السائدة - مما عرض الأمة الإسلاميّة - لأزمة في التعليم المعاصر تتجسد في غياب المنهج الإسلامي للتربية) [٢].

إن البلاد الإسلامية في تقدير أبي الحسن في حاجة ملحّة إلى نظام تعليميّ إسلاميّ في الروح والوضع، والسبك والترتيب، والوسائل والغايات؛ هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الإسلاميّ، ويكتب بقلم مسلم، ويدير دفة البلاد بسيرة مسلم وخلقه، وينقذ سياسة التعليم والمالية ببصيرة مسلم، ولا ريب أن قيام هذا النظام مطلب أول، لا يسع التغافل عنه، أو التساهل فيه، وهو عمل شاق وواسع، يأخذ وقتاً طويلاً، ويحتاج إلى تضافر الجهود، ومساندة الحكومات [٣].

ولنعتبر بغيرنا؛ فإن دولة إسرائيل المزعومة لم تقم إلا على أساس خالص للدّين، وهي متشبثة بتعاليم التوراة، عاضّة عليها بالنواخذ في كل مجالات

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٧٥.
(٢) أزمة التعليم المعاصر للدكتور زغلول النجار ١٧٦.
(٣) التربية الإسلامية الحرة ١١.

العلم والدّين والسياسة والاجتماع والاقتصاد، وفي الحياة الفرديّة والاجتماعيّة [١]، وإن البلاد الروسية لما رفضت الأديان، وآثرت الإلحاد، أخضعت نظامَ التعليم لنظريتها المادية، رافضةً أن يكون العلم الروسي قسماً من أقسام العلم العالمي، مؤكدةً على أنه علم يقوم على أساس العلوم الطبيعية والفلسفة المادية التي قدمها ماركس وانجلز ولينين، وتصارع به كلَّ التصورات التي تناهض هذه الفلسفة بكلِّ حزم وقوّة [٢].

إذا كانت هاتان الدولتان عملتا على إثبات وجودهما من خلال نظام التعليم على رغم إسفاف مبادئهما بعقل الإنسان وحياته، أفلا تستحق الشعوب الإسلاميّة أن تحافظ على شخصيتها، وتُظهِرَ مخزونَ ترائها لينتفعَ به، وتتمتعَ بثمار تعاليم دينها، وهي الأمة التي رفعت منارَ العلم على أساس الدّين والفضيلة، وبنت الحضارةَ المعنوية والمادية، وأسست العلومَ الطبيعية، وحررت الإنسانَ من الإغراق فيما لا طائل فيه من علوم ما وراء الطبيعة والفلسفة التي نشرها اليونان والفرس والهنود، إن الأمةَ مطالبةٌ بأن تبذل قصارى جهدها في الإحاطة والإلمام بكل الأسس الدينيّة والعلميّة والحضاريةّ، التي تحقق لها العزة، وتعيد لها مكانتها الرائدة، وتمكنها من تحقيق التوزان الحضاري والقيادي [٣].

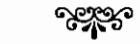

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ١٥٦.
(٢) التربية الإسلامية الحرة٥٥.
(٣) العقل المسلم والرؤية الحضارية للدكتور عماد الدين خليل ٢٦.

الفصل الثالث

جهود أبي الحسن الندويّ في نقد الحضارة الغربية

تناول أبو الحسن الندويّ مسألة الحضارة الغربية بالتحليل والنقد، فبيَّن حقيقتَها وكشف عوارَها، ونبَّه على مساوئها في العالم الإسلامي، وجنايتها على الإنسان بعامَّة، والمسلم بخاصَّة، ويكاد أن يكون هذا المسلك ناشئاً عن (نظرة ثابتة في أفكار الشيخ لا ينفك يعرض لها في كلِّ ما يؤلف ويحاضر. وبذلك يلتقي مع كبار مفكري الإسلام والغرب المعاصرين كالمرحوم محمد إقبال، والشهيد سيد قطب، وأخيه محمد، ومحمد محمد حسين، ومحمد البهي، وأنور الجندي، وألكسيس كاريل مؤلف الإنسان المجهول و ...) [١].

حقيقة الحضارة:

يرى الدكتور محمد محمد حسين أن كلمة الحضارة (تطلق الآن اصطلاحاً على كلِّ ما ينشئه الإنسانُ في كلِّ ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً وخلقاً، مادة وروحاً، دنيا وديناً؛ فهي في إطلاقها وعمومها قصةُ الإنسان في كلّ ما أنجزه على اختلاف العصور، وتقلُّب الأزمان، وما صوَّرت به علائقه بالكون وما وراءه، وهي في تخصّصها بجماعة من الناس أو أمة من الأمم تراثُ هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم) [٢]، وليست هذه السعة لمفهوم

(١) علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ١٢٨ .
(٢) الإسلام والحضارة الغربية ٦.

الحضارة وارتكازها على القيم العقدية والخلقية في الفكر الإسلاميّ دون غيره؛ فإن ألبرت اشفيتسر أحد رواد الفكر الغربي يؤكد هذه المرتكزات، مشيراً إلى أن الأعمالَ المبتكرة والفنية والعقلية والمادية وهي الجانبُ الآخر للحضارة لا تكشف عن آثارها الكاملة والحقيقيّة إلا إذا استندت الحضارة في بقائها ونمائها إلى استعداد نفسي، يكون أخلاقياً حقاً، ذلك أن الإنسان لن تكون له قيمة حقيقية بوصفه شخصية إنسانية إلا من خلال كفاحه، ليكون ذا خُلُقٍ وخلال حسنة [١].

وفي ظلّ هذا المفهوم الواسع يحاور أبو الحسن الندويُّ معطيات الحضارة الغربيّة، وآثارها في الأمة الإسلامية، مستهدفاً إقناع الجيل الحاضر بضلالها،وبكونها جافة وجوفاء؛ بعد أن تجرَّع مرارةَ أفكارها المنحرفة، وعاش في ظلّ نظمها السياسية والتعليمية والإعلامية والاقتصادية، حاصداً من جراء ذلك الشوكَ والإخفاق [٢]، ويتجلى هذا الحوارُ في الجهود التي بذلها أبو الحسن الندويّ في التعريف بتاريخ الحضارة الغربية ومكوناتها، وبيان عيوبها، وتقييم مواقف المسلمين منها.

توضيح حقيقة تاريخ الحضارة الغربية ومكوناتها: يُرجع أبو الحسن تاريخ هذه الحضارة إلى الآلاف من السنين، فهي سليلة الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية، قد خلفتهما في تراثهما السياسي والعقلي والمدني، وورثت عنهما كلَّ ما تركتاه من ممتلكات ونظام سياسي وفلسفة اجتماعية وتراث عقلي وعلمي، وانطبعت فيها ميولهما ونزعاتهما وخصائصهما؛ بل انحدرت إليهما في الدم، فقد كانت الحضارة اليونانية أولَ مظهر رائع للعقلية الغربية، وأولَ حضارة سجَّلها التاريخُ قامت على أساس الفلسفة تجلت فيها

(١) فلسفة الحضارة، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ٤ .
(٢) علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ١٣٧.

النفسيةُ الأوروبية، وعلى أنقاضها قام صرحُ الحضارة الرومانية، تحمل روحاً واحدة هي الروحُ الأوروبية، وظلت الشعوبُ الأوروبية طيلةَ قرونٍ محتفظةً بخصائصها وطبيعتها مع شوب بتعاليم النصرانية، بما فيها زمن علو الكنيسة وهيمنتها؛ حتى برزت بها في القرن التاسع عشر الميلادي في ثوب برّاق، يوهمك أنه جديد النسجِ، ولكن لحمته وسداه من نسج اليونان والرومان[1].

ويبيَّن الندويُّ أن النصرانية المحرَّفَة بفلسفة الرومان حاولت عبثاً منذ أن كُتِبَ لها الظهورُ - التغييرَ في طبيعة الحضارة الغربية، وإصلاحَ فسادها؛ لكنها عجزت عن ذلك بسبب تسلط الكنيسة على رقاب الناس في النواحي الاجتماعية، وإسرافها في الرهبانية والزهد، وتعطيلها لحركة النمو العلمي؛ فكان ذلك من أعظمِ الجنايات على الدِّين النصراني، ومن أهم الأسباب التي أحدثت ردّةَ فعل عاصفة، قضت على آثار الدِّين في إصلاح أوجه الفساد في الحضارة الغربية، وأدت إلى مقت كلِّ ما يتصل بالنصرانية، ويُعزى إليها من عقيدة وثقافة وعلم وخُلُق، ولم يكن عند الثائرين على الدِّين من الصبر والمثابرة على الدراسة والتفكير والتمييز ما يجعلهم يفرقون بين ما يرجع إلى الدِّين من عُهدة ومسؤولية، وما يرجع إلى رجال الكنيسة من جمود وجهل واستبداد، مما دفع هؤلاء إلى الانصراف إلى الماديَّة بكلِّ معانيها، وبكلِّ ما تتضمنه من فلسفة وعقلية وأخلاق وعلم وسياسة[2].

وأن هذه الحضارة الحديثة قامت متصفة بخصيصَتين:

الأولى: نفي وإنكار واستخفاف بكلّ ما لا يأتي تحت الحسِّ، ولا تصدِّقه الحواسّ الظاهرة، نتيجة لهذا المبدأ لا يستتبُّ الإيمانُ بذات وقوةٍ غير مرئية، مما يتجاوز حدودَ الحواسّ، وإذا لم يكن هنالك إيمان بهذا الوجود أو القوة

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٧٣.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٨٦-١٩٥.

الغيبية فلا أملَ إذاً في وجود الخوف منها، أو حسابها في الأعمال، والتصرفات، وهذا يعني صراحةً الكفر بالله تعالى وباليوم الآخر وبالرسل عليهم الصلاة والسلام.

الأخرى: إيثار العاجل على الآجل والانتفاع الحالي على الانتفاع المؤجل؛ إذ هو أقربُ إلى الحواس، ولأن الحاجة في هذه العملية إلى استخدام العقل والقوة الفكرية أقل؛ لذا نرى أن من سمات هذه الحضارة هي السطحيةَ والغرامَ الزائدَ بالبريق وجمال الظاهر؛ بحيث تسري في هيكل هذا المجتمع وحياته طبيعةُ الاستغلال والتمتع والأثرة والأنانية والنظر الشخصي، وهذا أدى إلى التضحية إيثاراً للعاجل بالعقائد والمبادئ والفضائل[١].

نشأت هذه الحضارةُ وهي على هذه الطبيعة، وترعرعت، ونمت متفرعةً إلى مناهجَ وتصورات وسلوكيات ومستحدثات، فكانت متأثرةً بعجينة طينتها، التي تستمد منها غذاءها، ذا الاتجاه الماديّ والرفض للأديان والقيم الخُلُقية؛ وكانت الثمرةُ فسادَ قلب الإنسان وفكره بسبب تلوث هذه الحضارة بالأفكار المنحرفة، والقلق النفسي بسبب الحرمان من الدِّين. والتبذل في الأخلاق وغياب العلاقات الاجتماعية بسبب طغيان المادة والانشغال بها، والظلم المتنامي للبشرية بسبب فقدان ميزان العدل الإلهي والانحياز إلى الاستعلاء العرقي. نعم تقدمت هذه الحضارة في نواحي الإبداع العلمي واكتشاف المجهول وإتقان الصناعة؛ لكنها مع ظلمة الجو في عواصمها بدخان المصانع الكثيف، وزخم أسواقها بالمنتوجات - بقيت غير متهيئة لفتح جديد في الفكر، وإشراق عالم الإيمان بالغيب في نفوس سكانها[٢].

---

(١) بين الدين والمدنية ٤٠-٤٣.

(٢) المسلمون تجاه الحضارة الغربية ٢٥.

هذه الحضارة يرى الندوي أنه يمكن أن توصف بأنها حضارة ميكانيكية، وحضارة ماديّة محضة، لاروحَ فيها؛ إنها حضارةٌ لا هدفَ لهاَ في إسعاد البشرية، قد أصبحت كالبعير المجتر، الذي يجتر ما في بطنه، قد قالت كلمتَها قبلَ زمن، وهي تعيش الآن على ما حققت من انتصارات علمية، وفتحٍ في المجال الحضاري والصناعي، لا شيء جديد من القيم والمبادئ تقدمه للإنسانية غير الخدمات، إنها أصبحت كما يقول الدكتور محمد إقبال: من أين نبحث عن الذوق اللطيف، وعن الأفكار السامية، وعن النظرة الطاهرة في الحضارة الغربية، وهي حضارة غير عفيفة، قد تلوثت ومسخت من زمان بعيد [١].

بيان عيوب الحضارة الغربية: سبر أبو الحسن الندويّ عمقَ هذه الحضارة فاتضح له أنها تعاني من قصور شديد، ومشكلات معقدة، تدلّ على إفلاسها، وإخفاقها في تلبية كلّ مطالبِ الإنسان، وإسعاده، وتكشفُ عيوبَ هذه الحضارة التي جذبت الإنسانَ إليها ببريقها اللامع وجمالها الأخاذ، فلم يشعر إلا وهو يصطلي بنارها، ولم يدرِ أنه منخدعٌ بزخرفها ومتاعها الغرور، ومن تلك العيوب:

١- الخواء الروحي الذي يعانيه الغربُ، وتعانيه هذه الحضارةُ؛ وقد أصبحت منه على شفا حفرة من النار، وسيؤول بهما عما قريب إلى الانتحار، وسيكون غايةَ علمها التقدّمُ الماديُّ، الذي لا يُشبع الروحَ، ولا يقي النفسَ عللَها، يقول الدكتور محمد إقبال: إن كلَّ أمة حُرِمَت الهداية الربّانيةَ، وحرمت التوجيهَ السماوي منتهى كمالها ورقيها البرق والبخار. اهـ، إن هذا سرّ شقاء الإنسانية، واضطرابها النفسي، وفسادها الخُلُقي، وإفلاسها الروحي [٢].

(١) أحاديث صريحة في أمريكا ٢٨ .
(٢) أحاديث صريحة في أمريكا ٤٠.

٢- الإخفاق الذريع في إعداد الفرد الصالح، والمجتمع المؤمن والبيئة الطاهرة، فإن هذه الحضارة على رغم إنجازاتها المادية، وفتوحاتها العلمية، وإبداعاتها الصناعية عجزت تماماً عن إنشاء أفراد صالحين مؤمنين، وهذه هي أكبرُ هزائمها وخسائرها، إن الأفرادَ الذين قدمتهم لنا فارغون من الإيمان واليقين، مجردون من الضمير الإنساني، محرومون من الحاسّة الخُلُقية، جاهلون لمعنى الحبِّ والإخلاص، غافلون عن كرامة الإنسان وشرفه ومكانته، إنهم لا يفهمون غيرَ اللَّذة والجاه، ولا يعرفون غير القوميّة والوطنيّة، إن هذه الحضارة لم تقدر أبداً على إيجاد مجتمع فاضل، وبيئة آمنة، وجماعة مؤمنة، تخشى الله في السرّ والعلن، يمكن الثقةُ بها، والاعتمادُ عليها في مصير خَلْقِ الله والأسرةِ البشرية[1] على حَدٍّ سواء.

٣- تهميش الإنسان، وحرمانه من القيام بوظيفته التي خُلِقَ لها، لقد تقدمت الحضارة الغربية في مجال العلوم والصناعة، وأطرفت الإنسانَ بكل ما كانت تستطيع أن تطرفَه به من وسائل وتسهيلات، وترفيه وتسلية، وأسباب العيش والراحة والترف والرقي والازدهار؛ لكنها سَلَبَت الإنسان حقيقَته، حتى لا تكاد تجد الإنسانَ الذي يحمل في صدره قلباً خفاقاً، ويملك عيناً ساكبة للدموع حزناً على الإنسانية البائسة، ويتحرق على الإنسان الضائع، ويتجرد من الشهوات، ويتمرد على الأهواء، ويعمل على إخضاع الحضارة لرسالته، أين الإنسان الذي يعرف خالقَه، ويعبدُ ربَّه، ويعيش في حبِّه، ويسعى إلى احترام الإنسان، وإسعاد البشرية، وتخليصها من الشرور والآثام، ووقايتها من الأثرة والأنانية، والنفعيّة والانتهازيّة؟ أين الإنسانُ الذي يعرف مبدأه ومصيره، ويعير ذلك اهتمامه، ويؤمن بأنه ليس كهوام الأرض، تصبح تراباً بعد الموت؛ بل هو يؤمن بأن له نهاية سوف ينتهي إليها، وسوف يسأل عن المواهب الإلهية التي

(١) الإسلام والغرب ٢٧-٢٨.

منحه إياها، وعن الصلاحيات التي جهزه الله بها، لقد استطاع الإنسانُ في ظلِّ هذه الحضارة أن يتفنن في الانتفاع بالجمادات، واستطاع أن يسخر الأجواء، وأن يغوص أعماق البحار، وأن يهبط على القمر، وأن يرصد الأفلاكَ، وأن يتقدم في عالم الاتصالات؛ لكنه لم يصل بها إلى الكمال الإنساني، الذي يمكنه من أن ينفخ في نفسه الروح، فيجعلها حيّةً بعبودية الله، متجردةً من عبودية الجماد، ونزوات الذات، تؤدي واجبَ الخلافة في الأرض، ديناً ورسالةً وعمارةً، وفق ما يريد الله تعالى من هذا الإنسان في هذا الكون [١]، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢].

٤- دفع الإنسانية إلى الشقاء المتفاقم، والإخفاق في إسعاد الإنسان بالعلوم والوسائل المادية وحدَها، لقد ادعى علماء الغرب أن المجتمع الإنساني المتحضر يمكن، لا، بل يجب أن يقوم على غير أساس الإيمان وتعاليم الأديان والقيم الخلقية والرسالات السماوية، إنه يستطيع أن يقوم على أساس العلم والتنظيم والصناعة والاقتصاد، وأن المجتمع يسعد ويترفه بالوسائل والآلات التي تمنحها علومُ الطبيعة والكيمياء وتسخير الكون والطبيعة لصالح الإنسان ورغباته وطموحه، ألحَّ الغربُ على هذا المعنى، وتحمّس له، وهتف بلا إله، ولا دين، ولا روح، ولا أخلاق، ولا آخرة، إنما هو حسّ وتجربة ولذّة ومنفعة وقوميّة، وبرزت في الميدان فلسفات ونزعات ومذاهب تهتف بهذا الهتاف، ومنحتها أوروبا بسخاء وحريّة فرصَ التأثير، ولكن ماذا حدث؟! أخفق جميعها في إسعاد هذه المجتمعات، بل تسببت في نشأة صراع محتدم بين الأفراد والطبقات، وحروب متطاحنة تغشى العالم على المصالح، وتسببت في فقدان

(١) أحاديث صريحة في أمريكا ٥١-٥٣.
(٢) سورة الأنعام ١٢٢.

الهدوء والأمن، وفي تسلط الذعر والفزع وفي المعاناة من التفسخ الخُلُقي والفراغ الروحي، والسآمة التي لا نهاية لها ولا علاج، والتشاؤم والحيرة؛ إنه يتجلى لكلِّ من يدرك هذه الآثار أن كلَّ مجتمع لا يقوم على أساس الإيمان أنه معرض للانهيار، وإن طال أمده، واتسع سلطانه [١]، ولا سبيل إلى نجاته من هذه الهاوية السحيقة إلا الإيمان بالإسلام.

ليس مقصود أبي الحسن من إبراز عيوب الحضارة الغربية تحريم الاستفادة منها في مرافق الحياة، وإغلاق الباب على مصراعيه، فإن ذلك لا يقول به عاقل مطلع على الإسلام وتعاليمه، فإنَّ الإسلامَ لا يزال منفتح القلب، واسع الأفق في الاستفادة بكلِّ ما يصلح وينفع، ولكن تأثير الحضارة الغربية أوسع من اقتباس العلوم، والانتفاع بالآلات والمخترعات والتجارب المفيدة في الحياة، إنه يشمل الأفكار والقيم والمثل، وصبغ الحياة كلها بالصبغة الغربية، واقتباس أساليب الحياة التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام ومعاييره في الطهارة والاعتدال والاقتصاد والاجتماع والنظام [٢].

تقييم المواقف من الحضارة الغربية: واجه العالم الإسلاميّ في العصر الحاضر مشكلةً في غاية الدقة والتعقيد والخطورة، هي مشكلةُ تأثير الحضارة الغربية الفتية الدافقة بالحياة والنشاط والطموح وقوة الانتشار، التي غزت المسلمين في فترة ضعفهم، وفقدان مركزهم القيادي بين الأمم وتكونت من مزيج: عقائد، ومناهج فكرية، وفلسفات، ونظم سياسية واقتصادية، وعلوم طبيعية وعمرانية واجتماعية، وتجارب خاصّة مرّت بها الشعوبُ الأوروبية، وقد اختلفت مواقفُ المسلمين من هذه الحضارة، وكان فيها ابتلاءٌ لذكاء قادة العالم الإسلامي ومفكريه، وقد حصرها أبو الحسن الندويّ في ثلاثة مواقف:

---

(١) المسلمون تجاه الحضارة الغربية ٥٣-٥٦.

(٢) أسبوعان في المغرب الأقصى ١٤٩ .

الأول: الموقف السلبي الرافض لهذه الحضارة، وما جاءت فيه بتاتاً، لا يقتبس منها شيئاً، ولا يسمح بالانتفاع بشيء من إنتاجها العلمي والمعملي والآلي، وهذا الموقف -ولا بد- يُنتِجُ التخلفَ الشديدَ عن ركب الحياة، ويحوّل العالمَ الإسلامي إلى جزيرة لا منعة لها. ولا قيمة [١].

الثاني: الموقف المستسلم الخاضع لهذه الحضارة، المتقبل لها بعقائدها ومناهجها الفكرية وفلسفتها المادية، ونظمها المختلفة، والعامل على تطبيقها في البلاد الإسلامية برمتها، متحملاً في سبيل ذلك كلَّ صعوبة وعنت [٢]، ومظهراً العبودية التي حرمته الاستقلال والحرية، لقد امتثل كثير من المسلمين هذا الموقف؛ حتى بعد الاستقلال السياسي، يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي مصوراً هذه العبودية: (وأما -أهل- البلاد- التي قد حصلت لهم فيها الحرية والاستقلال السياسي فهم ليسوا متحررين فيها من ربقة العبودية الفكرية؛ فها هي ذي مدارسهم ومكاتبهم وبيوتهم وأسواقهم ومجتمعهم؛ حتى وأجسامهم وأشخاصهم تشهد كلها بأنه قد استولت عليهم حضارةُ الغرب، وامتلكت نفوسَهم علومُها وآدابها وأفكارها، فهم لا يفكرون إلا بعقول غربية، ولا يبصرون إلا بأعين غربية، ولا يسلكون إلا الطرق التي قد مهدها لهم الغرب، وقد رسخ في نفوسهم سواء أشعروا به أم لم يشعروا أن الحقَّ هو ما عند أهل الغرب حق، والباطل ما يعدونه هم باطلاً، وأن المقياس الصحيح للحقِّ والآداب والأخلاق والإنسانية والتهذيب هو الذي قد قرره الغرب لكل ذلك) [٣].

الثالث: الموقف العادل من الحضارة الغربية، وهو موقف الحرِّ الكريم، القويِّ في الإرادة، المستقلِّ في التفكير، الذي يأخذ من غيره إذا اضطر واحتاج ما يطابقه ويلائمه، وما لا يرزؤه في شخصيته وتفوقه وامتيازه، وثقته

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٧-٩.
(٢)الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٣٥.
(٣) نحن والحضارة الغربية لأبي الأعلى المودودي ٨.

بنفسه ومركزه، وينبذ ما لا يلائمه، أو يضعف شخصيته، أو يدمجه في غيره، هذا الموقف مقتضاه أنه موقف أمة ذات هدف معين في الحياة، ورسالة كاملة إلى العالمين، وعقيدة صافية يستسلم لها القلب، ومنهج حياة متكامل الجوانب[١].

يرى الندويُّ أنه بقدر اعتزاز المسلمين بدينهم، وثقتهم في أنفسهم، ومحافظتهم على مقومات شخصيتهم، وتمسكهم بمبادئهم، ومشاركتهم غيرهم في تطوير العلوم، وابتكار الجديد، ومنافستهم في تحقيق السبق العلمي-يمكنُ بناءُ حضارة قوية الأركان، متكاملة الجوانب، تنتفع بسنن الله الكونية، التي تجري وفق (قانون طبيعي، هو أن كل أمةً تستعمل ما آتاها الله من قوى الفكر والعقل، وتمضي قدماً في طريق البحث والتحقيق والاكتشاف، تتمتع إلى جانب رقيها الفكري بالرقي المادي أيضاً، وكلّ أمة تتقاعد عن السباق في حلبة التفكير والتعمق في العلم تصاب مع انحطاطها العقلي بالتقهقر والاضمحلال المادي كذلك، ثم إنه كانت الغلبة نتيجة القوة، والهزيمة عاقبة الضعف فإن الأممَ المتخلفة من الجهتين المعنوية والمادية كلما تهبط في دركات الضعف والفتور-تكون أصلح للعبودية، وأكثر استعداداً للخنوع، وتصبح الأمم القوية بالاعتبارين المادي والمعنوي حاكمةً على عقولها وأجسامها معاً)[٢].

لقد تمكن الإسلامُ من بناء الحضارة المتكاملة التي حققت للإنسان كلَّ حاجاته الروحية والعقلية والمادية، وتجاوبت مع ميوله ورغباته وتطلعاته دون ضرر، واستطاعت أن تسعدَ الإنسانَ، وتجنبِّه شقاء التشتت الفكري، والحيرة الروحية، والانهماك المادي، واعتنت بالعلوم؛ فطورت ما كان قائماً منها كالطبِّ والرياضيات، وأسست علوماً جديدة كالفيزياء والبصريات، وابتكرت المنهجَ العلمي التجريبي، الذي قامت عليه حضارة الغرب المادية.

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ١٩٩.
(٢) نحن والحضارة الغربية لأبي الأعلى المودودي ٨.

تلك حضارة الإسلام، قامت على أساس العقيدة، وعلى أساس التربية الإلهية، وعلى أساس التأسي بسيرة الرسول ﷺ، والصحابة الكرام، فمنحت الإنسانَ المسلمَ العزَّةَ والسؤددَ وبوّأته مقعدَ القيادة والريادة بين الأمم، وقد استمدت هذه الحضارةُ شموخها من الدِّين، الذي لم يجرد الإنسانَ من الحضارة، ولم يقف منها موقفَ التابع الذليل؛ ذلك أن (كلَّ دين يجرد الإنسانَ من الحضارة دين صائر إلى الانقراض، ومصيره الزوال السريع، وكلَّ دين يرضى أهلُه بهذا الموقف الضعيف المتخاذل، فيرضون من الدِّين بالعقيدة، ولا يلحون على حضارة خاصّة، هي نتاجُ هذا الدِّين، ويقتبسون أو يستوردون من مدينة أخرى هي و ليدة بيئة أخرى، وسليلة ديانة أخرى، ونتيجة أحداث وعوامل مرت بها أمة خاصّة، أو بلد خاصّ، فإن أتباعه يفقدون مع الأيام ومع تيار الزمان شخصيتهم، ويفقد الدِّينُ الذي دانوا به السيطرةَ على نفوسهم وعقولهم، ويكونون صورةً صادقةً أو نسخةً مضبوطةً أمينةً للأمّة التي تطفلوا على مائدتها، واقتبسوا منها الحضارة ونمط الحياة، وهذا ما نتخوفه اليوم على العالم الإسلامي؛ الذي يقتبس من الغرب مدنيته وأساليب حياته [1] دون تحرٍّ أو تمييزٍ بين الغثِّ والسمين.

(١) أهمية الحضارة في تاريخ الديانات ١٥ .

الفصل الرابع

جهود أبي الحسن الندويّ في بناء الفكر الإصلاحي

ساهم أبو الحسن الندويُّ مساهمةً فعالة في بناء الفكر الإصلاحي، واقترانه بالعمل، فهو ينتمي كما يقول: «إلى مدرسة فكر آثرت التسبيحَ والتكبيرَ على صهوات الخيلِ، على المناجاة قابعةً في زاوية البيت الآمنة الهادئة، وجمعت بين السيف والمصحف، أعني بذلك مدرسةَ الإمام السيد أحمد بن عرفان وأتباعه من أصحاب العزيمة والطموح، والشجاعةِ والشهامة، والتفاني والمغامرة، والعقل والعاطفة، الذين قاموا بمحاولات الإصلاحِ والتَجديد الموسعة» [1]، وعلى إثرهم سار أبو الحسن الندويُّ مُجرِّداً قلمَه في سبيل نصرةِ الحقِّ، ومجاهداً بنفسه ووقته من أجل تجديد ما اندرس من معالم الدِّين، وتنقيته من شوائب البدعِ ولوثة التقليد والتبعيَّةِ، وإصلاح ما فسدَ من تصورات الناس، وعاملاً على عرضِ الإسلام في صورته الشاملة، والتصدي لأعدائه الذين تآمروا عليه بتشويه صورته الناصعة ونظامه المحكم في الحياة، ومحارباً المناهج المادية والمذاهبَ الهدامة، التي غزت العالمَ الإسلامي، وسعت إلى تغريب مجتمعاته، وقد استهدف من ذلك كلّه إيجادَ روحٍ جديدة في الأمة،وإعادة ثقتها بدينها، وربطها بماضيها المجيد.

حقيقة الفكر الإصلاحي: هو نتيجةُ الاجتهاد العقليّ المستمد من النظر في الأدلة الشرعيَّة، والمبذول لصياغة مناهج التربية، وترقية عقلِ الإنسان، وتهذيب نفسه، ولإقامة المجتمع على أحكام الإسلام، التي تحقّق له حاجاته مطالبَه.

---

(١) الطريق إلى السعادة والقيادة ٦٦ .

تحتوي هذه الحقيقة على الأهداف الثلاثة للإصلاح في الإسلام، وهي أهداف عامّة يدور عليها فلكُ الشريعة، وجامعة لما تتطلبه الحياة الإنسانية من إصلاح فردي أو جماعي:

أولها: تحرير العقل البشري من الخرافة والتقليد وعبودية الأهواء، عن طريق الاعتماد على الدليل والبرهان والدعوة إلى التفكير والنظر، فقد دعا الإسلامُ إلى اعتماد البرهان دليلاً في إثبات أمور العقيدة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)، ونعى على التقليد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (٢)، وأنكر عبوديّة الأهواء، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣).

وثانيها: تربية الفرد، وإصلاح نفسه، وتهذيب أخلاقه حتى يتحرى الخير في عمله، ولا يخضع لأهوائه وشهواته.

وثالثها: إصلاح المجتمع، وتنظيم شؤون الحياة، وإقامة نظام اجتماعي كامل، يوضح العلاقات، ويحدد الحقوق والواجبات.

إن الإنسانية في أرقى صورها لا تحتاج في إصلاحها لشيء سوى هذه الأهداف الثلاثة، ولو نظرنا إلى أيِّ فكرةٍ إصلاحيّة سابقة أو حاضرة لن نجد فيها ما يحقّق هذه الأهداف مجتمعةً مع ما يشوبها من زلل وشطط (٤).

---

(١) سورة البقرة ١١١.
(٢) سورة البقرة ١٧٠.
(٣) سورة الجاثية ٢٣.
(٤) الإسلام رسالة الإصلاح لمناع القطان ٢٠-٢٣ .

لقد راعى أبو الحسن الندويُّ هذه الأهداف في جهوده الإصلاحية الكبيرة، التي بذلها في نواح مختلفة، وبرزت فيما يلي:

تشخيص واقع المسلمين وأسباب ضعفهم: من الطبيعي أن يعتني أيُّ مصلح في تفكيره ودراسته بالواقع الذي يعمل فيه، ويشارك غيره مجتهداً في إصلاحه، وقد يكون من الضرورة على مثل أبي الحسن الندويّ أن يستنهض همته المتوثبة وقدراته الذاتية المتميزة لسبر حالة الأمة الإسلامية المنكوبة، وتشخيص أدوائها؛ ليتمكّن وهو في ميدان الإصلاح من وصف العلاج،وتقديم النُّصح، والمشاركة في استئصال الداء.

استأثر واقعُ المسلمين المرير على عناية أبي الحسن حتى أصبح هاجسه وهمه، ويعد كتاباه، الأول: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، والآخر: (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) في مقدمة الإصدارات الحديثة، التي درست بجد وموضوعيّة واقعَ المسلمين وسببَ ضعفهم، وظفرت بقبول المفكرين وعموم القراء إلى وقتنا هذا، وبين الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى مكانةَ الكتاب الأول في تقديمه له بقوله: (لست أذكر فيما قرأت كتاباً وضع أيدينا على دواء ما نشكو منه من أدواء وأمراض، كما فعل هذا الكتاب، ولا كتاباً نفذ كاتبه إلى روح الإسلام، وأخلص ويخلص في الدعوة له، ويقف كلّ جهوده على هذه السبيل كهذا الكتاب) [1]، ويلخص الأستاذ سيد قطب موضوع الكتاب ومنهج الكاتب فيقول: استعرض المؤلف أسبابَ انحاط المسلمين الروحيّة والماديّة، ووصف ما حَلَّ بالمسلمين أنفسهم عندما تخلَّوا عن مبادئ دينهم، ونكصوا عن تبعاتها، وما نزل بالعالم كلِّه من فقدانه للقيادة الراشدة، ومن انتكاسه إلى الجاهلية في كثير من أموره، ورسم خط الانحدار

(١) مقدمة ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٣.

الرهيب، الذي ترتكس فيه الإنسانيةُ في ذات الوقت الذي تفتح فيه آفاق العلم الباهرة، يرسم هذا الخط عن طريق التأمل الفاحص، لا بالجمل النارية، والتعبيرات المجنحة، فالحقائق الواقعة، كما عرضها المؤلف غنيّة عن كلّ بهرج وكلّ تزويق[١].

ويُعَدُّ كتابُه الآخرُ: الصراع بين الفكرة الإسلاميّة والفكرة الغربيّة الجزءَ الثاني لكتابه الأول: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، استعرض فيه قصةَ الصراع بين الفكرة الإسلاميّة والفكرة الغربيّة في البلدان الإسلامية، ونتائج هذا الصراع، وموقف البلدان الإسلامية ومنهجها فيه[٢]، وقد أشار في مقدمته إلى أن مشكلةَ الصراع هذا أضخمُ مشكلة للأقطار الإسلامية، وهي مشكلةٌ حقيقيّة لا صلَة لها بالأوهام والأحلام، وأن ضعف الأقطار الإسلامية الداخلي، ونفوذ الحضارة الغربية فيها يرسم في الأفق علامةَ استفهام واضحة أمامَ الأقطار الإسلامية كلِّها، لا تستطيع أن تتقدم خطوةً واحدةً بدون أن تجيب عليها جواباً حاسماً؛ علامة الاستفهام تتتابع في جملة من الأسئلة، أيّ موقف تتخذه هذه الأقطارُ نحو هذه الحضارة؟ وأيّ منهج تسير عليه لتوفيق مجتمعاتها بهذه الحضارة، وتحقيق مطالب العصر الحديث؟ وإلى أي مدى تثبت ذكاءها وشجاعتها الخُلُقية لمواجهة هذه المشكلة؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة هي التي تحدد مكانة هذه الأقطار في خريطة العالم، ويُعْرَف بها مستقبلُ الإسلام في هذه الأقطار، ومدى وفائها لرسالة الإسلام الخالدة، لقد كان الندويُّ يشعر بالحاجة الشديدة إلى مثل هذا الاستعراض والدراسة بروح المؤرخ المحايد والمفكر النزيه، وإلى ضرورة التنبيه إلى طريق سوي لنهضة المجتمع الإسلامي، الذي لا يتحتم عليه التمسكُ بالعقائد والأخلاق ومنهج

(١) مقدمة ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٨ .
(٢) في مسيرة الحياة ٣١٤.

الحياة الإسلامية فحسب؛ بل تقع عليه مسؤولية الدعوة والتوجيه والقيادة للعالم[١]، تلك القيادة التي تتطلع لها البشرية جمعاء بعد أن اكتوت بعسف الأنظمة الوضعية، وتمزقت بصراعات العقليات المتضاربة، وشقيت بضلال المناهج المنحرفة.

لقد بذل أبو الحسن الندويّ جهداً ضخماً في تشخيص أدواء الأمة، التي أدت إلى ضعفها، وغيابها في الساحة العالمية، واضعاً الأيدي على مواضع العلل الخطيرة التي صنعت الداء، ومن أشدّها استفحالاً داءُ الردّة الفكرية التي قصم ظهرَ الأمة، وأفقدها شخصيتها المتميزة، وقوتَّهَا بين الأمم، تلك الردّةُ التي اكتسحت شعوباً كثيرة في العالم الإسلامي، وانتقلت إليه على إثر تعرضه لغزو فلسفات الغرب القائمة على إنكار أسس الدِّين، وإنكار عالم الغيب والوحي والنبوءات، وجحود الشرائع والقيم الخُلُقيّة، وهي فلسفات متنوعة البحث، فبعضها يبحث في علم الحياة والنشوء والارتقاء، ومنها ما يتصل بالأخلاق ويدور حول علم النفس، ومنها ما يبحث في الاقتصاد ونظام الحكم، ومهما اختلفت موضوعاتها فإنها تلتقي على النظرة الماديّة المحضة إلى الإنسان وإلى الكون، والتعليل المادي لظواهرهما وأفعالهما، لقد غزت هذه الفلسفاتُ المجتمع الإسلاميَّ، وسيطرت على العقول والقلوب، ودانت بها قياداتٌ من المسلمين، قدستها، وأجلَّت قادتها ومفكريها، ودعت إلى دراسة أدبها، واحتقرت كلَّ ما يعارضها من مناهج وتراث ودين[٢].

ومهما أظهر الإنسان من الأسف على ما حدث فليس له أن يعجب منه، فإن هذا الاتجاهَ من التأثّر نتيجةٌ حتمية للنظام التعليمي؛ الذي تربى عليه هؤلاء، فالشجرة لا تلام على ثمرتها، ولا يستغرب الشيء من معدنه، فهل

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٤ .
(٢) ردة.. ولا أبا بكر لها ١٠-١١.

يستغرب ذلك على من تنكروا لدينهم، وقلبوا له ظهر المجنّ، وانتصبوا لإقصائه من الحياة، وقد أساغوا وهضموا نظريات الغرب الماديّة مقرونةً بصورة باهتة ومشوهة عن الإسلام، رسخت في نظرهم أن الإسلامَ قوةٌ قد استهلكت، وفقدت كلَّ صلاحية للبقاء؛ فضلاً عن القيادة، وإنها كبندقية أطلقت رصاصتها الأخيرة، وأصبحت فارغة، لا شحنة فيها، وإذا كان ثمة بقاء للإسلام فبقاء شخصيّ بين العبد وربِّه، لا يسمح له بالتدخل في صياغة الحياة، وتشكيل نظام المجتمع، وعلى أثر هذه الأرضية التي سوغت للردة الفكرية الانتشارَ بين أوساط المثقفين؛ ولاسيما بين القياديين ممن يمتلكون القدرةَ على التأثير- تغلغلَ تقديس الحضارة الغربية بقيمها ومفاهيمها وتصوراتها ومظاهرها، وانتقلت العلمانيةُ إلى غالب مجتمعات المسلمين مهيمنةً على كثير من مجالات الحياة بما فيها القضاء والتعليم والإعلام، وآمن بعضُهم بالفلسفة الشيوعية والنظرية الاشتراكية، مما عرض الأمة الإسلامية لمحنة قاسية؛ قد تكون عقوبةً على الكفران بالنعمة التي أنعم الله بها على هذه الأمة، وهي نعمةُ الإيمان والاصطفاء لحمل رسالة الإسلام، ورفع الذكر بين العالمين[1]، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[3].

ويرى الندويُّ أنه ما كان لغزو الفكر الغربي للأمة الإسلامية أن يحقّق مآربَه في إضعاف الأمة لولا تقدير الله تعالى الذي جعل لكلِّ شيء سبباً، فكان من الأسباب الظاهرة رجحان كفة ميزان القوة، وانسحاب المسلمين من معترك الحياة، واقتلاع جذور الوحدة المتأصلة في قلب العالم الإسلامي، وإبعاد

(١) عاصفة يواجهها العالم الإسلامي ٣٤-٣٨.
(٢) سورة النحل ١١٢.
(٣) سورة الزخرف ٤٤.

الإسلام ورابطة الأخوة فيه من التأثير في مجالات الحياة، والاستخفاف بقيم الإسلام ومشاعره، وقمع العاملين في سبيله، ولا حلّ للخلاص من مأساة الرِّدة الفكريّة وآثارها المريرة إلا في تحوّل قيادة العالم إلى أيد مؤمنة بالله تعالى؛ لتقيم الإسلامَ وتأمرَ بالمعروف، وفي قيام الأمة الوسط لتكون شاهدةً على الناس [١].

الدعوة إلى مواجهة التغريب والتخطيط لنظام تعليمي نابع من الإسلام:

فإنه نتيجة عوامل كثيرة، في مقدمتها ارتفاعُ نسبة انتشار الجهل والأميّة بين المسلمين قبل قرن مضى، الذي حرمَ المجتمعات الإسلاميةَ من الانتفاع بتوجيهات القرآن والسنّة في العناية بالعلم وعمارة الأرض، وانصراف المسلمين عن الاهتمامِ بالعلوم الطبيعية والتطبيقية، والركون إلى الراحة والدعة، ووقوع البلاد الإسلامية فريسةَ الحضارة الغربية، وفقدان القدرة على الموازنة والاختيار والتصدي في تحديد الموقف من هذه الحضارة الغازية، نتيجةً لذلك كلّه اضطربت المجتمعاتُ الإسلامية إلا ما رحم ربُّك في نظمها ومظاهر حياتها، واختلفت درجةُ نُكوصها عن الإسلام، وتقليدها للغرب [٢].

ومع إدراك تأثير هذه العوامل فإن العالمَ الإسلامي يمرُّ بمرحلة انتقالية، تسعى إلى صياغة هيكل جديد له ، لم تكتمل بعد، وهي تتطلّب من الغيورين عليه دراسةً عميقة، وتفكيراً جاداً ومتعمقاً، وتضحية وإيثاراً، وتصدياً قوياً، لأنها مرحلةٌ يمتحن فيها الإيمان وأهلُه، وتعمل على بناء مدنيّة جديدة، وتشكيلِ مجتمع جديد، وإزالة كلِّ ما يضادها، وفعلاً بدأ العمل على تجريد الإسلام من مدنيته، وكانت مؤامرةً خطيرة نسجها الغرب الذي رعى هذه العمليةَ من خطواتها الأولى، بعد أن أدرك أنه ليس بالإمكان تجريد المسلمين

(١) علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ١٢٩.

(٢) درس أبو الحسن الندوي أحوال المجتمعات الإسلامية دراسة تاريخية متعمقة، مظهراً ما حدث من جوانب التحول والاختلاف في البلاد الإسلامية بلداً بلداً. يمكن مراجعتها في كتابه الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ١٧-٦٣.

من العقيدة، وإن كان بالإمكان سلخهم من نظامهم الاجتماعي، وإلزامهم بمدنيّة أخرى أجنبية، وحقيقةُ الأمر أن الغرب نجحَ في هذه العملية نجاحاً ظاهراً [١].

وكان النظام التعليمي في الأقطار الإسلامية من أوائل الأنظمة التي خضعت للنفوذ الغربي، إدراكاً من الغرب أن التعليمَ هو أفضلُ وسيلة لإبادة العنصر الإسلامي والقضاء عليه، فهو الحامض الذي يذيب شخصيةَ الأمة، ثم يكونها تكويناً جديداً كما يشاء؛ لذا أسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والمعاهد في البلاد الإسلامية، أتبعتها الجهات المسؤولة عن التعليم بإنشاء مدارس مدنية، قررت على طلابها العلومَ الغربية بعلاتها، والكتبَ الخالية من الدِّين برمتها، أو أدخلت عليها شيئاً من التعديل، وقد اتفقت كلمة العقلاء وأهلِ التجربة على أن خسارةَ الأمّة في هذا النظام التعليمي الذي طبق في كثير من البلاد الإسلامية، واستنفد دعاةُ التعليم الغربي جهودهم وأموال المسلمين من أجله، كانت أكبرَ من ربحها، وكانت غايتهُ فوضى فكريّة هائلة، واضطراباً وتناقضاً في الأفكار والآراء، وارتياباً في الدّين، واستخفافاً بالفرائض والقيم إلى غير ذلك من المفاسد الظاهرة [٢].

إنه لا بُدَّ من منطلق إصلاح المجتمعات الإسلامية إعادة النظر في أنظمة التعليم ومناهجه، وصياغتها من جديد وفق أحكامِ الإسلامِ ومقاصده، ومعالجة الآثار السلبية للأنظمة التابعة للفكر الغربي، مع إتاحة فرصة الاستفادة من نتاج العلم التطبيقي الغربيّ، الذي يساعد على عمارة الأرض وبناء الحضارة، وفق خطط مدروسة، تنفذ على مراحل متتابعة، تراعي قدرَ الانحراف في هذا النظام، وظروف المجتمعات، وإمكاناتها المادية والبشرية.

(١) الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة ٦٣-٦٤ .
(٢) التربية الإسلامية الحرة ٩ - ٣٠ .

لقد أتبع الندويُّ القولَ بالعملَ، فكانت له مساهمةٌ فعالة في التأكيد على أن يكون المنهاج التعليمي في البلاد الإسلامية منهاجاً يعمل على تعميق إيمان الأمة بالعقائد والحقائق العلمية، لأنه يتناول تربية الإنسان المسلم الذي يحمل رسالةً، ويحتضن دعوةً [١]، وله دورٌ رائد في الدعوة إلى تحرير التعليم من رقِّ العبودية والتقليد، وبيان أهمية جعله قنطرة تصل الحاضرَ بالماضي والخَلَفَ بالسلف والمعلومات بالعقائد، وتدعم العقيدةَ الموروثة بالعلم والمنطق والدليل والحجة [٢]، وذلك من خلال كتابه: (التربية الإسلامية الحرة)، وله نشاط مشكور في إبراز خطورة النظام التعليمي في تربية الشعوب الإسلامية، هذه الخطورة التي تكمن في كونه يتعلق بأمة ذات خصائص معينة، ومكلفة بوظيفة فريدة في العالم البشري، تتبع معتقداتُها وقيمُها ومثلُها وتصوراتُها وأفكارهُا من الوحي الإلهي، ولا سيما إذا أدركنا أن التعليمَ قادر على إحداث صراع فكري، وعلى خلع معتقدات جيل وتصوراته الصحيحة، وعلى نشأة طائفة غريبة على المجتمع المسلم في عقائدها وآرائها، رافضة لتاريخه وتراثه، وقيمه ومآثره [٣]، فإذا كان التعليم بالغاً هذا الخطر أفلا يتدارك بنظام تربوي، يستمد أطره ونظامه ومناهجه من مصادر الإسلام، حفاظاً على الجيل من التقليد والتبعية، وحماية لمستقبل الأمة من الضياع والتشتت.

كما كانت للندوي مساهمةٌ في تأليف بعض المناهج والكتب التربوية، منها كتابه: (العقيدة والعبادة والسلوك) الذي يقول في مقدمته: (قد صببت فيه عصارة دراساتي وخلاصة تجاربي في مجال الدعوة والتربية، ومعرفتي بطبقات الأمة المختلفة معرفة علمية، فاستفدت من كلّ ذلك في تأليف هذا الكتاب)[٤]، ومنها كتاب للأطفال في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،

(١) الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة ١٣٩.
(٢) التربية الإسلامية الحرة ٧٤.
(٣) الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة ١٣٠.
(٤) العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية ١٩.

وكتاب في سيرة الرسول ﷺ، وكتاب قصص من التاريخ الإسلامي، وكتاب السيرة النبوية للكبار.

الدعوة إلى بعث الأمة من جديد للاضطلاع بدورها القيادي في إسعاد البشرية:

يقرر أبو الحسن الندويّ أن الأمّةَ الإسلاميةَ أنيط بها مسؤولية الوصاية على العالم، والحسبة على الأخلاق والاتجاهات وسلوك الأفراد والأمم، ومسؤولية القيام بالقسط، والشهادة لله تعالى على الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستنداً إلى قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٣)، ويذكر القرآن هذه الأمة بواجبها الإصلاحي، محيلاً ذلك على الأمم الماضية، مثيراً للشعور بالمسؤولية، قال تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٤)، ويحذر سبحانه من تفريط الأمة في أداء واجبها، وما يجرّ ذلك على الإنسانية من شقاء وبلاء، وانتشار للفساد، فيقول للمجموعة التي كان عددُ أفرادها لا يتجاوز بضع مئات في حياة المدينة الأولى، وقد أمرت بالتآخي والموالاة على أساس الدين: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (٥) فكيف بالأمة

(١) سورة الحج ٤١.
(٢) سورة المائدة ٨.
(٣) سورة البقرة ١٤٣.
(٤) سورة هود ١١٦.
(٥) سورة الأنفال ٧٣.

الإسلامية التي تملأ الأرض، وتمتلك الطاقات البشرية والإمكانات المادية إذا أخلَّت بمركزها القيادي الدعوي، أو بواجبها الاجتماعي [١].

لقد استجمعت الأمةُ خصائص الخيريّة بين الأمم، ونَسخَ دينُها الإسلامُ سائرَ الشرائع السماوية السابقة، وارتضاه الله ديناً خاتماً، يحمل في رسالته الهداية للناس على كر الدهور والأزمان، فتعلقت به مصالح الشعوب، وارتبطت به سعادتُها.

وبعيداً عن هذا الدين ذاقت المجتمعاتُ البشريّةُ مرارةَ الأديان المحرَّفة والملل الفاسدة، والسرُّ في ذلك يعودُ إلى انقطاع الخيطِ الذي كان يربطها بالنبوّات، مما أورثَها التخبطَ نتيجة فلسفات ومناهج ونظريات كانت وراء التفاوت الفاحش بين الناس في أصولهم ومكانتهم، والفجوة العميقة بين العلم والعمل والنظرية والسلوك، والفوضى المنهجية والعقائدية، والتضارب في الآراء والمذاهب الوضعية[٢]، وتتحمل الفلسفة الغربية قسطاً كبيراً وزر هذا الانحراف، الذي وقع في خط التقدم العلمي منذ أن استيقظ الغربُ من سباته العميق، وتحرر من هيمنة الكنيسة في القرون الوسطى، واستأنف رحلَته في دنيا العلم والاكتشاف، وفي طريق تسخير الطاقات البشرية والطبيعية لمآربه، ومحدثاً تغييراً في آفاق الحضارة المادية؛ إلا أنه سلك في هذا مسلكاً مستقلاً عن الوحي الإلهي، يتصرف ويعمل كما يشاء، غير شاعر بمسؤوليته أمام ربِّه، مما جَرَّ العالم الذي وقع تحت تأثير حضارته المادية إلى الشقاء المرير، والتخبط المدمر [٣].

ولم تسلم الأمة الإسلامية من ألم هذا الشقاء، ووضر هذا التخبط المدمر؛ ولكن برغم كل ما أصيبت به من وهن فإنها الوحيدةُ على وجه الأرض

(١) الإسلام وآثاره في الحضارة وفضله على الإنسانية ١١٠-١١١
(٢) دور الإسلام الإصلاحي الجذري في مجال العلوم الإنسانية ٣٧.
(٣) دور الإسلام الإصلاحي الجذري في مجال العلوم الإنسانية ٥٥.

التي تعدّ خصماً للفلسفة الغربية ذات الصيت والتأثير العالمي، وغريمتها ومنافستها في قيادة الأمم، إلاّ أن هذا يتطلب من الشعوب الإسلامية إذا أرادت أن تسترجع مكانتها الشرعية أن تحقق الوحدة الإيمانية بينها، وأن تقوّيها بكلّ الوسائل، وتشد عضدَها في المستقبل، عندها تستطيع أن تستردَّ عزةَ الأمة، وشرفها، ومكانتها، وأن تعطي لنفسها ضمانَ الأمان الدائم، وسوف يكون في ذلك قيامٌ بواجب الدعوة المناط بها، وتقديمُ خدمةٍ جليلة لهذا العالم المثخن بالجراح والتمزق والتشتت والضياع[١].

لقد وقف العالَمُ نتيجة لقيادة الغرب على فوهة بركان، يوشك أن ينفجر، أو على شفا جرف يوشك أن ينهار، لأنها مصدر البعد عن الهداية والضلال البشري، والشقاء الإنساني، والقلق النفسي، والتمزق الاجتماعي، والفساد الخلقي، والحروب المدمرة للشعوب والمقدرات. ولا صلاح للعالم، ولا بقاء للإنسانية ما دام الغرب في وضعه الحاضر هو المهيمن على الحياة كلّها، وهو مصدر التوجيه والقوّة، ولا أمل في سعادة الشعوب والمجتمعات إلاّ في تحوّل القيادة والقوّة من الغرب الأنانيّ الماديّ إلى الإسلام[٢]، الذي حمل للعالم وللإنسانية الإيمانَ والعدلَ والأمانَ، وكلَّ مصادر الخير والاستقرار والهداية، فالأمة الإسلامية بهذا مهيّأة لأن تمارس وظيفتَها القيادية للأمم والمجتمعات.

مواجهة النحل والحركات الفاسدة: تصدى أبو الحسن الندويّ لما كان سائداً في عصره من نحل وحركات، لها تأثير سيِّئ على عقيدة المسلمين وحياتهم، فقد كان سيفاً مسلولاً على أعداء الله من القاديانيين، وعلى أصحاب الفكر المنحرف من دعاة القوميّة العربيّة وغيرهم، وسيتبين الجهد الذي بذله هذا الفارس المعلم من عرض مواجهته للقاديانية وللقومية العربية، اللتين استأثرتا على اهتمامه أكثر من غيرهما في كتاباته:

(١) الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة ٥٩.
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٢٩٥.

أولاً- القاديانية: هي «سبق الحديث عنها ص٣٢٥،٣٢٦» مؤامرة دينيّة وسياسيّة، إن وجد لها نظير في الخطر على الإسلام ففي حركة الإسماعيلية الباطنية، التي تولى كبرها عبيدالله بن ميمون القداح في القرن الثالث الهجري، أريد أن تكون مصدرَ زعزعة ثقة المسلمين بدينهم، وتشكيكهم في السنّة النبويّة؛ لأنها تقوم على إبطال عقيدة اختتام النبوّة والرسالة في محمدّ ﷺ، إلى جانب ما تدعو إليه من ترهات وأباطيل تتعلق بالإيمان بالله تعالى ومصادر الشريعة وأحكامها، وقد برز نشاطها في المناظرات وإثارة الشكوك والشبهات وتأييد سياسة الاستعمار الإنجليزي وعملت على توجيه دعوتها في جميع أنحاء شبه القارة الهندية، ونقلتها إلى البلاد العربيّة والإسلاميّة، فظهرت في العراق وسوريا، وانتشرت في أندونيسيا، واعتنت بأقاصي إفريقيا، مما أفزع علماءَ المسلمين، وأولهم في الهند، فحاربوها بأقلامهم وألسنتهم وعلمهم، وذلك أقصى ما كان يمكن في عهد الاستعمار[1].

واجه الندويّ هذه النحلةَ بالردّ الموضوعي الكاشف لزيفها، والهاتك لسترها، والمبيِّن لعورها، من خلال كتابيه: الأول (**النبوة والأنبياء في وضوء القرآن**)، حيث عالج في أحد فصوله مسألة اختتام النبوة، وكون محمّد ﷺ هو آخر الرسل وخاتم النبيين، مبيّناً فيه خطرَ نحلة القاديانيّة على سلامة العقيدة، ووحدة الديانة، والحماية من الفوضى الفكرية، يقول الندويُّ في هذا الشأن: (بقيت عقيدةُ ختم النبوة تحرس هذا الدِّينَ من غائلة المبتدعين، وفتنة المتنبئين والمتزعمين، وتحرس هذه الأمة من الفوضى الفكريّة والدينية، التي كانت الأمم السابقة والديانات السالفة فريستها، واستطاع هذا الدينُ، واستطاعت هذه الأمةُ بفضل هذه العقيدة أن تقاومَ المؤامراتِ الدقيقةَ، وتحمل الصدمات العنيفة، وبقيت واحدة في الدِّين والعقيدة، لم تواجه ثورة داخلية أو

(١) القادياني والقاديانية ٧-٩.

اضطراباً فكرياً إلاّ ماكان من الباطنية في العهد القديم...، وقد بعثت هذه العقيدة في الإنسان الثقةَ ببلوغه سنّ الرشد، وكان ذلك حافزاً للإنسان على التقدُّم في مضمار المدنيّة، والاعتماد على العلم والتجربة في الحياة اليوميّة، فليست حاجة العالم اليوم أن ينتظر وحياً جديداً... وإنما حاجته اليوم في أن يفكر في مواهب هذا الكون وطاقاته، التي خلقها الله تعالى؛ ليشغلها الإنسانُ في صالحه، ويستخدمها لحوائجه، وينظر إلى الأرض لبناء حياة أفضل، تقوم على أساس من الدِّين والأخلاق [١].

أمّا كتابه الآخر، فهو (القادياني والقاديانية) فقد درس فيه المكتبة القاديانية، التي خلفها مؤسس هذه النحلة الفاسدة، فإنه على رغم بغضه لهذه النحلة، واستثقاله لقراءة كتبها التي كتبت بأسلوب ثقيل على النفس، خال من العلم المفيد [٢]، ولكن لا بُدَّ من هذا، خدمة للمنهج العلمي الذي يقتضي هذا التنزل؛ لقرع الرأي الفاسد بالحجة الدامغة. درس الندويُّ شخصيةَ الميرزا غلام أحمد القادياني، وما اكتنفها من تحول واضطراب، ابتدأ بكتابه: (براهين أحمد) الذي ادعى فيه أنه ملهم، ومأمور بإقامة حجَّة الإسلام، وأنه مؤيد بالآيات السماوية والخوارق، وكان مما أثاره في كتابه حرمةُ الجهاد في بلاد الإنجليز، ويدهش القارئ من كثرة ذكر الإلهامات والمنامات والخوارق والكشوف والتكليمات الإلهية والنبوءات والتحديات الطويلة، التي تخرجه عن سنن البحث العلمي والحوار الديني، وقد استفاض هذا الكتابُ في بيان عقيدة بقاء وراثة الأنبياء في العلم اللدني، وحصول نور اليقين والعلم القطعي [٣].

لقد كانت مواضعُ العور في هذه النحلة كثيرةً، وظاهرةً في خروجها على عقيدة المسلمين المتوارثة عن الأسلاف، المتمثلة في اختتام النبوّة في

(١) النبي الخاتم ٧٤-٧٥.
(٢) القادياني والقاديانية ١٤.
(٣) القادياني والقاديانية ٤٠-٤٩.

محمد ﷺ، وحماية الدِّين من البدع والخرافة، وفي مظاهرتها للمستعمر الإنجليزي الذي ضيَّقَ الخناقَ على المسلمين، وغرب حياتهم، معطلاً العملَ بأحكام الدِّين، وفي إبطالها لفريضة الجهاد المحكمة، وفي سلاطة لسان الميرزا وأتباعه هجاءً وبذاءةً مع المخالفين من علماء المسلمين، وفي الانغماس في شهوة المال والبذخ والترف إيثاراً على الزهد سمة الدعاة الصالحين، وحسب من وقف على هذه النحلة أن يدرك أنها قضية شاذة من قضايا التاريخ، وإن أدقَّ تعبير وأصحَّه عنها أنها نحلة محدَثة إزاء دين خالد، لا نظير لها إلاّ باطنية القداح القرمطي[1].

ثانياً - حركة القوميَّة العربيّة: استولت على اهتمام أبي الحسن الندويِّ، لما لها من أثرٍ كبير في تقويض الخلافة، رمز وحدة المسلمين وقوتّهم، وفي تصديع جبهتهم الدّاخلية، وتفريق شملهم، وإذهاب ريحهم، وفقدان مكانتهم؛ وإن كان العرب هم الذين تبنوا فكرة القوميّة، ورفعوا رايتها إلاّ أن ضررها كان شاملاً على المسلمين، مخيّباً لتطلعاتهم، فقد عقد العالمُ الإسلامي آمالَه في زعامة العرب، التي قادته من قبل على أساس العقيدة الواحدة، والإيمان العميق، والصلة الأخوية المتساوية، ولا يزال هذا العالم الكبير يتذكر من تاريخه أن قيادة العرب بجدارة واستحقاق أشرفُ قيادة وأعظمها، وأقواها في التاريخ، وقد أكرم الله بها العرب لَما حملوا الرسالة، وأخلصوا للدعوة، وتفانوا في سبيلها، فأحبَّهم الناسُ، وقلدوهم في كلِّ شيء، فتحدثوا بلغتهم لغة القرآن، وامتزجوا بثقافتهم وعاداتهم المستمدة من القرآن، وبقيت هذه القيادة الشاملة مدةً طويلةً والناس لا يفكرون في الخروج عليها أو التذمر منها؛ لأنها قائمة على صلة الدِّين والأخوة والعدل[2].

(١) القادياني والقاديانية ٩٢-١٢١.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٢١٤-٢٣٥.

لقد عقد الله بين العرب والإسلام للأبد، وربط مصير أحدهما بالآخر، فلا عزَّ للعرب إلاّ بالإسلام، ولا يظهر الإسلامُ في مظهره الصحيح إلاّ إذا قاد العربُ ركبَه، وحملوا مشعلَه، ويتبيَّن من هذا حرص الرسول ﷺ على بقاء هذا الرباط الوثيق المقدس بين العرب والإسلام فجعل جزيرةَ العرب هي موطن العرب مركزاً للإسلام الدائم، وعاصمة خالدة له. وحرص على سلامة هذا المركز، وخلوصه للإسلام، فكان من وصايا الرسول ﷺ عند موته: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) [١]، ومن أقواله: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلاّ مسلماً) [٢] وأخذ بذلك الخلفاء الراشدون، فكانوا ينظرون دائماً إلى الجزيرة العربية على أنها معقل الإسلام، ورأسمال الدعوة إلى الله تعالى، وقد جاء في وصية أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لخليفته: (أوصيه بالأعراب خيراً؛ فإنهم أصلُ العرب، ومادة الإسلام) [٣]، وعاش العرب، وعزوا بالإسلام، وبقي الوضع أثناء حكم آل عثمان على الصفاء والوفاء، لا يكدرهما إلاّ حوادث فردية، وأغراض شخصيّة، إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري حين بدت في الأتراك الكبرياء على أساس العنصر، واستعيض عن اللغة العربية باللغة التركية في الدواوين الرسمية، وقد تزعم هذه الحركة وقادها بعض الأتراك، متأثرين بالنصارى ممن كانوا مثقفين بالثقافة الغربية، ولا تربطهم بالأتراك رابطة الدِّين، ثم نشبت الحربُ العالمية الأولى التي كانت فرصةً سانحةً للقوميين العرب في الانشقاق على الدولة العثمانية، وانتهز الحلفاء الأوروبيون هذه الفرصة فنفخوا في قربة القوميّة؛ لتكون بديلاً عن الوحدة بين الشعوب الإسلامية على أساس الإسلام [٤].

---

(١) رواه أبو داود ١٦٥/٣ في كتاب الخراج والإمارة، باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب، قال الأرنؤوط في جامع الأصول ٣٤٥/٩: حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم ١٣٨٨/٣ في كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

(٣) رواه البخاري ٢٠٦/٤ في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عنه.

(٤) العرب والإسلام ٤-٩.

وظهرت إلى الوجود فكرة القوميّة العربيّة، ووجدت الدعم من الغرب؛ لأنها من أنجح الوسائل لتحقيق المطامع عن طريق التسلل إلى الأقطار العربية، ذات الموقع الاستراتيجي، والإمكانات البشرية والمادية، فضلاً عمّا في ذلك من إضعاف لمكانة هذه الأقطار، التي ينظر إليها على أنها مصدر الإشعاع الإسلامي، مركز قوة الإسلام،وقلب العالم الإسلامي كله؛ فمتى خضعت للدعايات المضللة، وانتشرت فيها الفوضى الفكريّة، والفساد الخلقي، تخلت عن مركزها القيادي للعالم الإسلامي وانقطعت صلتها بشعوبه[١].

ويلخص أبو الحسن الندويُّ مفهومَ القوميّة العربيّة بأنها فكرة مستقلة، وفلسفة بذاتها، لها كلُّ ما للدّين من حمية وحرارة وشعائر ومقدسات، خضع لها بعض مثقفي العرب، ممن كانت صلتهم بالدّين ضعيفةً، ونشأت فيهم الرغبةُ الشديدة لنيل المجد والسؤود عن طريقها، وفي أقرب وقت ممكن، مجاراةً للشعوب الأخرى التي يصفونها بالراقية والحرة[٢]، وتقوم هذه الفكرة على هذا المفهوم البعيد عن الدِّين وقيمه ومبادئه، يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: من قال إن القومية تجعل الإسلامَ عنصراً من عناصرها، وإنها تخدم الإسلام أو تسانده فإنه يخالف الحقيقةَ والواقع، وإنما الحقيقة أنها تنافسُ الإسلام، وتحاربُه في عقر داره، وقد تُطلى مفاهيمها ببعض خصائص الإسلام ترويجاً لها وتلبيساً، أو جهلاً وتقليداً، ولو كانت الدعوة إلى القوميّة يُرادُ بها نصرُ الإسلام، وحمايةُ شعائره لكرّس القوميون جهودَهم في الدعوة إليه ومناصرته، وتحكيم دستوره، والتخلّق بأخلاقه، والعمل إلى ما يدعو إليه، وابتعدوا عن كلِّ ما يخالفه[٣].

(١) عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي ٤٢.
(٢) العرب والإسلام ٩.
(٣) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع ٩.

ويؤكد أبو الحسن مدى التباعد بين الإسلام وفكرة القوميّة العربيّة، وأن أسلوبَ هذه الفكرة ما هو إلاّ صدى القوميّة الغربيّة الكافرة، والذي نعتقده أن هذه القوميّة تنافس الإسلام في مركزه وقوته عند العرب، وتزدهر وتقوى، وتستفحل على حسابه، وتقطع صلةَ العرب عن مصدر عزهم وقوتهم محمّد ﷺ ودعوته ورسالته أولاً، ثم عن العالم الإسلامي وشعوبه ثانياً، وتجعل من العرب شعباً محدوداً ضيّق التفكير، يعيش في نفسه ولنفسه [١]، ومهما مجدت القومية، فما هي مكاسبها في الأقطار العربية؟ وبماذا عادت عليهم من عزّ وسؤدد؟ لقد ملأ دعاتُها الأسماعَ بأن الإنسان العربي المارد العملاق سيخرج من القمقم.. وسيدهش العالم، وسيشغل سمع العالم وبصره، فأين هذا المارد؟ وفي أيّ مكان هو؟ وماذا أحدث من عزّ وسؤدد؟ إن ما حدث كان على نقيض ذلك تماماً، فقد تسلّط القزم اليهودي الذليل على هذا المارد المستكف للإسلام، ولحق العار بكلّ قوميّ عربيّ، وخسرت الشعوب الإسلامية مقدساتها، وسلبت كرامتها على أيدي هؤلاء القوميين العرب، وإن التجربة برهان فاضح لهذه الفكرة المتهاوية، التي لا تجد من الواقع مستنداً قبل أن يخسروا المستقبل كلَّه، وأن لا يسترسلوا مع الأوهام والخيالات المجنحة [٢] قبل أن تفوتهم الرجعة، عندها لا ينفع الندم.

هذه شهادة الواقع الحالي، وشهادة الواقع التاريخي أكثر إقناعاً لمن كان له قلب وسمع، فكلما حاول العرب أن ينالوا الشرف والمكانة بين الأمم بغير الإسلام أخفقوا وذلوا، وقد كان اسمهم يرجف القلوب، ويملؤها مهابة وروعة، فإنهم خرجوا من جزيرتهم في ثياب ضيقة مرقعة، ونعال مخصوفة، إلاّ أنهم كانوا يملكون الإيمان واليقين والأخلاقَ، التي كانت الأمم أفلست فيها إفلاساً

(١) العرب والإسلام ١٣ .
(٢) لنعد إلى الإسلام ١٤.

شائناً، وإن كانت تملك المادة وعلومها، فخضعت المادة للروح، وفي التاريخ ما يثبت ذلك بشهادات متصلة وكثيرة، وقد كان انتصار العرب على الروم والفرس الذين كانوا يفوقونهم مراراً في العدة والعدد والآلات والمدنية أروع شهادة لغلبة الروح على المادة[١].

وحقيقة الأمر أنه نشأ بفكرة القومية عقوقٌ لنعمة الإسلام، وكنود وكفران بحقِّ محمّد ﷺ، وفضله في تكوين هذا العالم العربي، وإبرازه من العدم إلى الوجود، لقد جَنَّدَ زعماءُ القومية العربية وكثيرٌ من قادة الأدب والفكر والسياسة جميعَ مواهبهم وقواهم لخدمة هذه الفكرة، واستغلوا كل ما أمكن من وسائل وإمكانات لإبرازها دون خوف من الله تعالى وسخطه، وقد زخر القرآن الكريم بالوعيد والوبال على من يجحد النعمة ويكفر بها [٢]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٣]، ولا نعمة أعظم من نعمة الإسلام، فهل بعد جحود هذه النعمة من جحود؟! قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [٤].

ثالثاً: حركة الخميني في إيران: لعل هذه الحركة من أحدث الحركات المنحرفة في العالم الإسلامي، وأكثرها خداعاً للشعوب الإسلامية؛ عندما تبنت في ظاهر الأمر فكرة إقامة الدولة الإسلامية، وانتهجت منهج التحدي الغرب، ولذلك وجدت مع الأسف من أبناء السنّة والجماعة مَنْ يبدي لها الإعجابَ والتأييد؛ بل إلى ما هو أعظم من ذلك، دون التفات أو تحرٍّ عن

(١) العرب والإسلام ٧٨.
(٢) كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية ١٢، ١٥ .
(٣) سورة إبراهيم ٧.
(٤) سورة آل عمران ١٠٣.

حقيقة عقيدة هذا الحركة ومؤسسها، ووزنها بميزان الكتاب والسنة، ويعدّ أبو الحسن الندويّ بحقٍّ أحدُ المفكرين الذين حققوا سبقاً في تقييم هذه الحركة، ودراسة مرتكزاتها، والتنبيه على مفارقاتها لمنهج أهل السنة والجماعة، من خلال كتابه: (صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية).

وتعد حركة الخميني في إيران امتداداً لفرقة الإمامية الشيعية، وهي تعتقد بإمامة عليّ رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ، نصّاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، وتخطت ذلك إلى الوقيعة في كبار الصحابة رضي الله عنهم طعناً وتكفيراً، ظلماً وعدواناً [١] وقد شهدت نصوص القرآن على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، والرضا عن جملتهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [٢]، وقال تعالى ثناءً على المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٣]، وقد جاءت هذه المعتقدات صريحةً في كتابات الخميني، ولا سيما كتاباه: الحكومة الإسلامية، وولاية الفقيه)، فإنهما تضمنا أفكاراً عن عقيدة الإمامية وعن الأئمة ترفعهم إلى مكانة الألوهية، وتثبت أن الأئمة أفضلُ من كلِّ نبي وملك، وأن هذا الكون خاضعٌ لهم، وتابعٌ لسلطانهم بطريق تكويني، وكذلك كتابه: (كشف الأسرار) تناول فيه الصحابة رضي الله عنهم، ولاسيما الخلفاء الراشدين بالجرح والنقد، بل تجاوز ذلك إلى توجيه كلمات السَّبِّ والشتم إليهم[٤].

استطاع الندوي أن يجلي حقيقةَ هذه الحركة بأسلوب هادئ بعيد عن الجدل الكلامي، موثق بنقولات من كتب الشيعة ومؤسس هذه الحركة، وأن

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١٦٢-١٦٤.
(٢) سورة الفتح ١٨.
(٣) سورة التوبة ١٠٠.
(٤) صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية ١٠٢.

يبيّن فسادها المتمثل في تشويه صورة تاثير تعاليم الإسلام وجهاد الرسول ﷺ التربوي والدعوي، والتنكر لمميزات النبوة والرسالة، التي اختصَّ بها الرسول ﷺ، والنظرة السلبية القاتمة إلى جيل الصحابة رضي الله عنهم، التي اتخذتها شعاراً لها [1].

(١) صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية ٦-٧.

obeikandl.com

الخاتمة

وبعد: فإن جهود سماحة الشيخ أبي الحسن الندويّ في الفكر المعاصر لا يمكن لمثل هذا البحث، أن يحصرها؛ نظراً لوفرة كتاباته الفكريّة، وتتابع أعماله الثقافيّة، ولكن حسبه أن يحاول إبراز معالمها، التي استطاع أبو الحسن من خلالها أن يشارك فيما يلي:

١- بث الوعي الفكريّ، وبناء الذاتية في النظرة، وتقوية الشخصيّة الإسلاميّة، وتذكير الأمة برسالتها التي أكرمها الله بها، والعمل على صياغة الحضارة من جديد، وفق أسس مستمّدة من مصادر الإسلام الصحيحة.

٢- إيقاظ حسّ المسلمين تجاه مكتسباتهم الفكريّة عن طريق تأصيل الفكر وفق مدلولات القرآن الكريم والسنةّ المطهّرة؛ لتجلية القضايا الملتبسة، وبلورة التصور الصحيح، وإظهار استقلال الفكر الإسلامي عن غيره.

٣- تذكير المسلمين بواجبهم نحو أمتهم، وإعادة ثقتهم في معطيات دينهم الحضاريّة، وتحذيرهم من التبعيّة للغرب، والانخداع ببريق حضارته، وأن هذا لا يمنع من الاستفادة من نتاجها العلمي والماديّ بعد تحرٍّ وتمييز.

٤- تشخيص أدواء الأمة التي أدت إلى ضعفها وغيابها في الساحة العالميّة؛ لوضع الأيدي على مواضع العلل الخطيرة التي صنعت الداء، ومن أشدها ضرراً داء الرِّدة الفكرية، ومعالجتها بما يحسم الداء، وكشف حقيقة بعض الملل الفاسدة والحركات المنحرفة التي لها تأثير، والتصدي لها، وبعث الأمة من جديد لممارسة دورها القيادي، والاضطلاع بمسؤوليتها في الوصاية على العالم، والحسبة على سلوك أفراده، والعمل على إسعاد مجتمعاته.

ستبقى جهود أبي الحسن الندويّ الفكرية ظاهرةً على غيرها، تستدعي الباحثين والغيورين إلى الاستفادة منها، والرجوع إليها عند مدارسة قضايا العصر الحاضر؛ نظراً لحيويتها، وسعة عطائه فيها، وعمقه في دراستها، ودقته في تقييمها، وقدرته على معالجة آلام الأمة، وبعثه لآمالها، وفق منهج يشفي الصدور المؤمنة، ويرضي الفطر السليمة، ويتفق مع العقول الحصيفة.

obeikandl.com

فهرس المراجع

أولاً: كتب أبي الحسن الندوي:

١- أحاديث صريحة في أمريكا، ط/٣، عام ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٢- الأركان الأربعة: الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى، ط/٤، ١٣٩٨هـ، دار القلم بالكويت.

٣- أسبوعان في المغرب الأقصى، عام ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٤- إلى الإسلام من جديد، ط/٤، عام ١٣٩٨هـ، المختار الإسلامي بالقاهرة.

٥- الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، عام ١٤٠٧هـ، دار المنارة بجدة.

٦- الإسلام والغرب، عام ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٧- أهمية الحضارة في تاريخ الديانات، عام ١٤٠٢هـ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

٨- بين الدين والمدنية، ط/٤، عام ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٩- التربية الإسلامية الحرة، ط/٢، مؤسسة الرسالة ببيروت.

١٠- دور الإسلام الإصلاحي الجذري في مجال العلوم الإنسانية، عام ١٤٠٨هـ، دار الصحوة بالقاهرة.

١١- ربانية لا رهبانية، ط/٢، عام ١٣٨٨هـ، دار الفتح ببيروت.

١٢- ردة.. ولا أبا بكر لها، طبعة ندوة العلماء بالهند.

١٣- روائع إقبال، ط٣، عام ١٣٩٨هـ، دار القلم بالكويت.

obeikandi.com

١٤- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ط عام ١٣٩٧هـ، دار القلم بالكويت.

١٥- صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية، عام ١٤٠٦هـ، دار الصحوة للنشر بالقاهرة.

١٦- الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة، ط/٢، دار القلم بالكويت.

١٧- عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي، مطبعة ندوة العلماء بالهند.

١٨- العرب والإسلام، ط/٢، عام ١٣٨٩هـ، المكتب الإسلامي ببيروت.

١٩- العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ط/٢، دار القلم بالكويت.

٢٠- في مسيرة الحياة، عام ١٤٠٧هـ، دار القلم بدمشق.

٢١- القادياني والقاديانية، ط/٦، عام ١٤١٠هـ، الدار السعودية.

٢٢- كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية، عام ١٣٨٧هـ، مؤسسة النور للطباعة بالرياض.

٢٣- لنعد إلى الإسلام، محاضرة ألقيت بنادي الوحدة، ونشرها عام ١٣٨٧م.

٢٤- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط/١٠، عام ١٣٩٤هـ، مطابع علي ابن علي بالدوحة.

٢٥- المسلمون تجاه الحضارة الغربية، عام ١٤٠٧هـ، دار المجتمع بجدة.

٢٦- من نهر كابل إلى نهر اليرموك (جولة في غرب آسيا) ط/٢، عام ١٣٩٦هـ، دار الإيمان ببيروت.

٢٧- النبي الخاتم، المجتمع الإسلامي العلمي بالهند.

٢٨- نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان، عام ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

ثانياً: كتب أخرى:

١- أزمة التعليم المعاصر للدكتور زغلول النجار، ط عام ١٤٠٠هـ، مكتبة الفلاح بالكويت.

٢- الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي للدكتور محمد رأفت سعيد، ط عام ١٤٠٣هـ، دار العلم بجدة.

٣- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، عام ١٣٥٨هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٤- الإسلام رسالة الإصلاح لمناع القطان.

٥- الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة لعمر بهاء الدين الأميري.

٦- الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، ط عام ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٧- البداية والنهاية لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي، ط/١٩٧٧م، مكتبة المعارف ببيروت.

٨- التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، عام ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية ببيروت.

٩- ثقافة الطفل المسلم.. مفهومها وأسس بنائها، د. أحمد عبدالعزيز الحليبي، عام ١٤١١هـ، مطبعة الفرزدق بالرياض.

١٠- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الفكر.

١١- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، عام ١٣٥٢هـ، دار المعرفة.

١٢- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المكتبة الإسلامية بتركيا.

١٣- صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، عام ١٤٠٠هـ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

١٤- العقل المسلم والرؤية الحضارية للدكتور عماد الدين خليل، ط عام ١٤٠٣هـ، دار الحرمين بالدوحة.

١٥- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب، ط عام ١٣٩٧هـ، دار النفائس ببيروت.

١٦- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط/٤، عام ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي ببيروت.

١٧- الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية لمحمد المبارك، ط عام ١٩٨٧هـ، دار الفكر

١٨- فلسفة الحضارة لألبرت اشفتيسر، ترجمة الدكتور /عبد الرحمن بدوي، ط/٣، ١٩٨٣م، دار الأندبس ببيروت..

١٩- القاديانية دراسات وتحليل لإحسان إلهي ظهير، ط١٢، عام ١٣٩٨هـ، ترجمان السنة بباكستان.

٢٠- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط/٢، عام ١٣٧١هـ، مطبعة البابي الحلبي بمصر.٠

٢١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الكتب العربية ببيروت.

٢٢- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية بإيران.

٢٣- مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام لأنور الجندي، عام ١٣٩٧هـ، دار الاعتصام بالقاهرة.

٢٤- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ببيروت.

٢٥- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل، عام ١٣٨٧هـ، مؤسسة الحلبي بالقاهرة.

٢٦- نحن والحضارة الغربية لأبي الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة.

٢٧- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عام ١٤٠٣هـ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

obeikandl.com

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣٤٥
التمهيد	٣٤٨
١- تعريف الفكر الإسلامي المعاصر.	٣٤٨
٢- بيان سمات مؤلفات أبي الحسن الندوي الفكرية.	٣٤٩
الفصل الأول: جهود أبي الحسن الندوي في بناء الذاتية للفكر الإسلامي.	٣٥٥
- حقيقة الذاتية..	٣٥٥
● تأكيده على استقلال منهج الإسلام في الفكر.	٣٥٦
● بيانه لضرورة التغلب على الحيرة والازدواجية	٣٥٨
● تقويته للشخصية الإسلامية وتذكيره للأمة برسالتها.	٣٥٩
● دعوته للأمة إلى صياغة الحضارة من جديد.	٣٦٢
الفصل الثاني: جهود أبي الحسن الندوي في تأصيل الفكر الإسلامي.	٣٦٦
- حقيقة التأصيل.	٣٦٦
● تفسيره لأركان الإسلام الأربعة.	٣٦٧
● تأكيده لاختتام النبوة وانقطاعها بمحمد ﷺ.	٣٦٨
● تجليته لمعنى التزكية للنفس.	٣٧٠
● إبرازه لمسألة انتماء التعليم.	٣٧٢

obeikandl.com

الفصل الثالث: جهود أبي الحسن الندوي في نقد الحضارة الغربية. ـــ ٣٧٦

- حقيقة الحضارة. ـــ ٣٧٦

● توضيحه لحقيقة تاريخ الحضارة الغربية ومكوناتها. ـــ ٣٧٧

● بيانه لعيوب الحضارة الغربية. ـــ ٣٨٠

● تقييمه للمواقف من الحضارة الغربية. ـــ ٣٨٣

الفصل الرابع: جهود أبي الحسن الندوي في بناء الفكر الإصلاحي.

حقيقة الفكر الإصلاحي. ـــ ٣٨٧

● تشخيصه لواقع المسلمين وأسباب ضعفهم. ـــ ٣٨٩

● دعوته إلى مواجهة التغريب والتخطيط لنظام تعليمي نابع من الإسلام. ـــ ٣٩٣

● دعوته إلى بعث الأمة من جديد للاضطلاع بدورها القيادي في إسعاد البشرية. ـــ ٣٩٦

● مواجهته للنحل والحركات الفاسدة. ـــ ٣٩٨

الخاتمة. ـــ ٤٠٨

فهرس المراجع. ـــ ٤١٠

محتويات البحث. ـــ ٤١٥

obeikandi.com